الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
faculté : des lettres et des langues

جامـــــعـــة 8 مـــاي 1945 قـــالمـــــــة
كلية الآداب واللغات

الرقم:..... N° :.....

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــــــــــــــــــــــــر

(تخصص تحليل الخطاب)

عنـــوان المـــــــــذكرة

العدول في القرآن الكريـــم (نماذج مختارة)

مقدمة من طرف الطالبة:

سمية كواشي

تاريخ المناقشة :.....

بوزيد ساسي هادف	الرئيس	استاذ محاضر "أ"	الجامعة08 ماي 1945 – قالمة
العياشي عمبار	المقرر	أستاذ محاضر "ب"	الجامعة08 ماي 1945 – قالمة
صالح طواهري	الممتحن	أستاذ مساعد "ب"	الجامعة08 ماي 1945 – قالمة

السنة الجامعية: 2013/ 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ١٠٥ ﴾ التوبة

صدق الله العظيم

شكر و عرفان

الحمـــــــــــد لله

حمـــــدا يليـــق بجلالـــــــــه وعظيـــــــــم

سلطانـــــــــه الذي وفقنـــــــي فـــــــي دراستـــــــي

، ولرسولـــــــــــه الكريـــــم الذي غـــــرس فـــــــي

قلبـــــــــي حب العلـــــــم والإيمـــــــان .

كـــــل شكـــــــري و خـــــالص تقديـــــري للأستـــــاذ

"الدكتـــــور عمـيـــار العيـــاشـــــي" إلـــــى الذي لـــــــم

يتـــــوان فـــــي النصـــــح والتوجيـــــــــه ، أشكـــــره

علـــــى كـــــــل لحظـــــة خصصهـــــا لـــــــي و

أستسمحـــــــه علـــــى كـــــــل لحظـــــــة تعـــــب

معـــــــي ، فشكـــــــــرا أستـــــــــاذي

الكريـــــــــم و دمـــــت فـــــــــي خدمـــــــــة

الأدب

واللغـــــــة و الفكـــــــر.

الإهداء

أحمد فضل ربي و عطائه إن كان بي خير فهو منه ، عليه توكلت وبه آ منت وعلى رسوله صلى الله عليه وسلّم سلّمت.

إليك يا رب:أقدم ثمرة جهدي، يا من كنت سندي و معيني و مضيء خطواتي ، يا من ساعدني على اقتحام العلم و هتك حجب الجهل فشكرا لخيرك العظيم وفضلك العميم ، وتبقى الكلمات خرساء، تستنطقها فلا تجيب لتعبر عن نعمك غير المحدودة و أفضالك غير المعدودة .

إلى أعز ما أملك في هذا الوجود إلى التي تعطي ولا تبخل ، و تسهر و لا تتعب منبع الحنان و العطاء المدرسة الأبدية أمي الغالية "حورية"

إلى من لا يحلو البيت إلا بوجوده ، لأنه أساسه و عمـــــــوده إلى من علمني الثقة بالنفس والكفاح لتحقيق النجاح . إلى من يعجز المرء عن رد جميله ،أستاذي الأوّل في الحياة

أبي الحنون رحمه الله و أسكنه فسيح جنانه مثال القوة والصبر والصمود "مولود"

إلى الذي لو وهبته عمري لما كفيته ،إلى من تغنى به القلب فأطرب قصائده فيها الأحرف ،إلى أغلى هدية وهبني إياها الخالق ،إليك يا قمرا فوق كل الأقمار و نجما في سماء أيامي،إليك أنت يا من أنرت قلبي و دربي ، يا أحلى نبض في الوجود الزوج والحبيب"نجيب" أطال الله في عمره ، وإلى كل أقاربه خاصة والديه أطال الله عمرهما.

إلى من ذوقوني حلو الزمان فكانوا منبع الطيبة والحنان .

إلى كل من كانوا لي سندا و رداء يحميني من قسوة الزمان ، كل إخوتي و أخواتي :فاتح وزوجته منى ،سيف الدين ،توفيق،كريمة ،نسيمه ،حبيبة ،عتيقة ،زينة ،سعيدة ،وإلى كل أزواجهن وأبنائهن وبناتهن .

إلى جدتي زبيدة وإلى خالي رشيد وخالاتي : فطيمة ،الكاملة ،سميرة،يمينه ، سعاد ،وإلى كل أبنائهم وبناتهم وإلى كل الأقارب .

إلى كل من وهب نفسه للعلم طالبا و للعمل خادما .

إلى كل من عرفه و أحبه "سمية"

وشكري الخالص لكل الأساتذة و خاصة الأستاذ"مومني السعيد" وأتوجه بالشكر و التقدير و الاحترام إلى أستاذي العزيز"عمار العياشي" الذي ساهم بشكل كبير في إنجاز هذا البحث.

وأتمنى له التوفيق في مساره العلمي .

سمية

مقدمة

مقدمة

إنّ ولوع الإنسان في حياته يدفعه دائما إلى الابتكار والإبداع من حيث الجديد ونبذ القديم، كما أنه يقتحم عالما جديدا ألا وهو الأدب من أوسع أبوابه خاصة من البلاغة بكل قواعدها، لينحرف أيضا بأفكاره ومعانيه عن كثير ما هو مألوف لديه .

وهاهو اليوم يدخل بظاهرة العدول ، وهي من أبرز الظواهر الأدبية التي عرفها علماء العرب في ظل المعنى المفهومي بالانزياح والاتساع والتوسع ، ففي النحو نجد العدول متمثلا في التقديم والتأخير والحذف.

ويعتبر الإنسان أهمية العدول ظاهرة أسلوبية تكون أكثر قبولا في نفس القارئ إذا جاءت عفو الخاطر دون تكلف ، شأنها في ذلك شان ألوان البديع ، إذ أن المبالغة في هذا الأمر تفضي إلى التعقيد ويتحول الأسلوب حينئذ إلى غموض ، فلابد من الاعتدال في العدول لأن المبالغة ستكون على حساب المعنى فيشوبه الغموض ويتعلق فهمه على القراء ، ولو غصنا في يم المصطلح ذاته لألفيناه ذا أشقاء كثر:

منها انزياح ، تجاوز ، اختلال ، إطاحة، مخالفة ، اللحن ، شناعة ، التحريف ، أما على النقد العربي فلها تسميات عدة : اتساع، انزياح، مخالفة، والغرابة وغيرها من المصطلحات الأخرى ، وإذا كان هذا المتمرد اللغوي له ألقاب ، فان علماءنا لقبوها بالمعيار الذي يخرج منه وأطلقوا عليه اسم : المألوف ، السنن اللغوية والعبارة البريئة.

وانطلاقا من هذه الملاحظات تأتي أهمية الحديث عن ظاهرة العدول ، لأن حقيقتها الجوهرية تتبلور من تبني تلك الإجابات فنيا لقيم التجاوز ، والمحققة للوقائع الأسلوبية المختلفة، حيث الصيغ والتراكيب الحادثة على مستوى الإنشاء ، لذلك ارتأيتها موضوعا للبحث والدراسة ، اعتقادا منى بأهمية ذلك في جس نبض

مكامن الحس عند الحديث عن القران الكريم وآياته وحتى ندلل على المترع الذوقي الذي لم يكتف ببحث عناصر الصحة، وتجاوزها إلى بحث مقومات التأثير الأسلوبية ، التي عليها المعول في صناعة قيم الجمال ، قصد إلحاق المتلقي بالخطاب الأدبي شعرا كان أم نثرا إن من شأن الوقوف على هذا المقصد ، أن يشير إلى مدى معرفة بلاغتنا مبكرا بمناط الحسن في البناء الأسلوبي .

و مسألة العدول ليست جديدة على التفكير البلاغي العربي، فقد اتضح بأن العرب درسوا هذه الظاهرة منذ أواخر القرن الثاني الهجري، ولو أنهم في العصر الحديث آثروا المصطلحات المترجمة الدخيلة، ثم كانت الإضافات التي تفنن فيها النقاد و من ثم أنتجوا أعمالا باهرة وزاخرة به .

ما العدول وما أهم نتائجه على مستوى أساليب الخطاب ؟

– من هنا بدأ اهتمامي بظاهرة العدول في البلاغة العربية ، إن أهمية هذه الظاهرة في التفكير البلاغي، وخطورتها بين المباحث اللغوية والغموض الذي يحيط بهذا المصطلح كان أكبر الأسباب التي كانت وراء اختياري لهذا الموضوع.

– وقد اقتضت طبيعة الدراسة خطة انطوت كالآتي: مقدمة فمدخل يليهما فصلان، فخاتمة ، لتسليط المزيد من الضوء على المحصن الذي نشأ فيه مصطلح "العدول" باعتباره المصب الذي تنتهي إليه جميع روافد البناء المتميزة للأساليب.

– عرضت في المقدمة أهمية البحث، وأسبابه، وأهم إشكالياته.

– عرضت في المدخل المعالجة المعجمية لمصطلح "العدول " وإشكاليته في بلاغاتنا، حتى نقرر قناعاتنا بضرورة اعتماد هذا المصطلح التراثي بديلا إزاء كم غير قليل من المصطلحات الوافدة ، لا لأنها وافدة،بل لأنها جاءت حبلى بدلالات بعيدة في كثير من الحالات عن طبيعة ثقافتنا العربية ، ثم من حق ثقافتنا أن يكون لها مصطلحها الخاص، واتبعت ذلك ببعض المصطلحات التي تشترك مع "العدول" في التعبير عن ذات الحدث الأسلوبي ، ولكنها لا تملك إمكانات الرواج نفسها، فجاء تناولها مقتضبا.

و في الفصل الأول كانت الملاحقة التطبيقية لنواتج ظاهرة العدول على مستوى أساليب توصيل الخطاب ، انطلاقا من كونها مضامين لعلم المعاني، بحثا من خلالها عن المعاني المتوخاة بتجاوز الأصل في الاستعمال النفعي للغة لصالح اعتبارات جمالية خاصة .

وفي الفصل الثاني تعرضت للتشكيل البياني من خلال عطاء المجاز باحثة عن طرق التعبير عن معنى المعنى ،الذي تكفلت به أنماط التصوير المختلفة ، حيث جاء الحديث عن المجاز ، والاستعارة والتشبيه ، والكناية ، وما تتيح هذه العناصر البيانية من خصوصية في بناء أسلوب النص القرآني ، كما تطرقت للبديع دون الانتهاء عند إبعاد طرق تحسين الكلام بل رأيت محاولة تحسس الدور الذي يلعبه هذا النوع من التركيب في إخراج المعاني إخراجا جماليا.

أما بخصوص المنهج المتبع ، فان الدراسة لم تتوقف عند منهج محدد ، وحاولت الإفادة من عدد من المناهج بما يشكل المنهج التكاملي ، ولا تفوتني الإشارة إلى أنه من خلال دراستي هذه واجهتني صعوبات منها ندرة المراجع وقلة المطبقين في هذا المجال لأن هذا الموضوع حديث النشأة ، ولكن باعتمادي على بعض المصادر والمراجع استطعت أن اتجه الوجهة الصحيحة والأخذ بجميع السبل المؤدية إلى دراسة منهجية ومنظمة من بينها :

- الأسلوبية والأسلوب لعبد السلام المسدي .
- بلاغة التقديم والتأخير لعلي أبو القاسم عون.
- أسلوب الحذف في القرآن الكريم لمصطفى شاهر خلوف .
- أسلوب الالتفات في القرآن الكريم لمصطفى شريقن.
- البيان في الضوء أساليب القرآن والبديع في الضوء أساليب القرآن لعبد الفتاح لاشين.

وان لم يتعرض الكثير منها صراحة لمصطلح العدول ، إلا أنها تمثلت إجراءاته في تحسسها في معالم الجمال والتأثير ، وأملي أن أكون قد وفقت ولو بجزء ضئيل في انجاز هذا العمل ، مع العلم انه لم يكن اختياري لهذا النص اعتباطا، بل لأنه أجدر النصوص بالدراسة كيف لا وهو الفجر الذي فتح جفنه على البشرية فاستحى منه ليل الجهل والوثنية فولى هاربا ، ولا يسعني إلا أن اشكر كل من ساعدني ولو ببسمة مشرقة.

مدخل

العدول وإشكالية المصطلح

1 . العدول :

أ – تعريفه : لغة و اصطلاحا

نقر بداية بأن التحرك وراء أي مصطلح يقتضي طرق أبواب المعاجم للإحاطة بالمنطلقات الأساسية التي عن طريقها يمكن تحسس اتصاله بالاستعمالات اللغوية عموما، وما يتصل منها بالبحث الأسلوبي على وجه الخصوص.

تقود محاولة تتبع مضامين كلمة " العدول" إلى استنتاج مفاده إن المادة اللغوية الآتية (ع،د،ل) وما يمكن أن يشتق منها محصور بين الدلالة الأولى المتمثلة في الإنصاف،و إحقاق الحقوق حيث إن :" العدل : كالعدالة و العدول و المعدِلة و المعدَلة، عدَل يعدل فهو عادل من عدول وعدل بلفظ الواحد..."[1]

وبين الدلالة الثانية التي تهمنا في هذه الوقفة حيث " عدَل عن الشيء يعدل عدلا و عُدُولا حاد عن الطريق جار و عدل إليه عدولا رجع ، وماله معدل ولا معدول أي مصرف ، و عدل الطريق مال ...ومنه قول أبي خراش :

على أنني ،إذا ذكرت فراقهم تضيق علي الأرض ذات المعادل

أراد ذات السعة يعدل فيها يمينا و شمالا من سعتها . و العدل : أن تعدل الشيء عن وجهه، تقول : عدلت فلانا عن طريقه و عدلت الدابة إلى موضع كذا ."[2]

وبالنظر إلى هذا ، يمكن تحسس اللمحة الوثيقة بين المصطلح ، وبين الدلالة الفنية انطلاقا من مفهوم ـ عدل الطريق ـ مال ، ومن خلال مدلول كلمة المعادل الواردة في بيت أبي خراش التي تعني ذات السعة يعدل فيها يمينا وشمالا من سعتها . ومن هنا يفهم أن العدول في اللغة إجراء يلحق الصياغة لأغراض فنية عامة لم ترتبط بداية بتحسس عناصر الجمال ، وفي ملاحظة طبيعة الصياغة الواردة في الآية ما يؤيّد ذلك :قال تعالى :" أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع " ، كأنك قلت : أولي أجنحة اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة و... ولكن الذي ينبغي معرفته أن أبا عمرو لم يصرح باصطلاح (العدل) ولا اصطلاح (الصرف) ، وما أظنه هو وعيسى بن عمرو وابن أبي إسحاق من قبلها قد عرفوا هذين المصطلحين

---

[1] مجد الدين الفيروز أبادي الشيرازي ، القاموس المحيط مكتبة النوري ، دمشق (د.ت .ط)ص: 13.

[2] ابن منظور، لسان العرب، إعداد و تصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب ، بيروت ، لبنان ، ج2 ، (د.ت) ص: 706.

بمعناهما الفني و إن كانوا يعرفون ذلك استعمالا "[1]

وفي مسعى الوقوف على استخدامات مصطلح "العدول " الفنية، فإنه يعتبر المصطلح الثالث من حيث الشيوع بعد الانحراف والانزياح ، والعدول في اللغة مصدر للفعل (عدل) بمعنى مال وجار ،وهو مصطلح قديم ورد هو ومشتقاته في كتب اللغة والنحو والبلاغة القديمة.[2]

ويعد "عبد السلام المسدي"صاحب الفضل في إدخال هذا المصطلح إلى كتب النقد والأسلوبية والفضل يعود إليه كذلك في جعل مصطلح العدول المصطلح الأنسب لترجمة المفهوم الأجنبي ـ في كتابه (الأسلوبية والأسلوب) ـ l'écart وانطلاقا من هذه الترجمة جاء مسعى إحياء مصطلح عربي صميم هو العدول ليعطي مساحة غير قليلة من المادة المشكلة لجمالية الإجراءات الشعرية ، الأمر الذي تم بوعي عميق بإنشائية الأساليب العربيةوقدرتها على العطاء الجمالي،ولم يأت كرد فعل قائم على التعسف في طرح البدائل التراثية، ولعل ملاحظة " أحمد ويس " عن استعمال تجربة التعاطي مع هذا المصطلح " المسدي " ، ما يفيد بذلك فالمسدي " هو أول من لفت الانتباه إلى إمكان إحياء هذا المصطلح للمفهوم الأجنبي وكان ذلك في كتابه " الأسلوبية والأسلوب " ، غير أنه مع ذلك لم يستعمله في كتابه آنذاك ، واستعمل مصطلحا آخرا هو "الانزياح" ولكنه لم يلبث على هذا الأخير طويلا فرغب عنه إلى "العدول" ، ولما سألته في ذلك أجاب بأنه عندما استعمل مصطلح انزياح ترجمة لمفهوم_ L'écart _ أول مرة كان يقصد إبراز سمة الجدة من حيث هو متصور إجرائي طارئ على التأليف في اللغة العربية ، ثم جاء مصطلح العدول إحياء لمصطلح بلاغي تراثي لم يعد يجر محاذير الالتباس ..."[3]

ثم راج هذا المصطلح بشكل كبير حيث " استعمل (العدول) غير المسدي كثير من الدارسين المحدثين منهم تمام حسان ، حمادي صمود ، وهو يرى في مصطلح العدول أحسن ترجمة لمفهوم _ L'écart _ ، ومصطفى السعدني، وعبد الله صولة ، والطيب البكوش والأزهر الزناد ..."[4]

---

[1] عوض حمد القويزي ، المصطلح النحوي نشأته وتطوره ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2 ، 1983م ص : 70-71 .

[2] أحمد محمد ويس ، الانزياح وتعدد المصطلح ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 25 ، مارس 1997م ، ص : 63 .

[3] أحمد محمد ويس ، الانزياح وتعدد المصطلح ، مرجع سابق ص ن .

[4] المرجع نفسه ، ص:64 .

ولما كان النظر في مظاهر العدول باعتبارها سمات أسلوبية تدل على الانفعال و تصنع التأثير، كانت تلك المظاهر الأساس في البناء الأسلوبي وذلك ما تقول به الدراسات الحديثة عندما تجعلها مناط البحث و التحليل ، والذي يؤكد ارتباط النظر في إجراءات العدول بتكريس قيم الجمال هو أنها " ترى في النص خلقا لجمالياته من خلال صياغته ، وفي هذا يفترق نص عن نص ، ويختلف عمل أدبي عن آخر- لا من خلال الجودة والرداءة و لكن من خلال نظامه الذي تتشابك فيه مستويات الصياغة فتنتهك المثاليات المألوفة في الأداء، أو تتكرر الأنماط ، أو تتكاثر المنبهات الفنية "[1].

وأن أي انحراف إنما يقاس على الواقعة اللغوية ذات البنية الأساسية التي تسهر القاعدة المعيارية على صيانتها ، حتى صارت مرجعا يقاس عليه كل خرق لأن " كل تغير يطرأ قواعد اللغة إنما هو انتهاك لأبدية قوانينها "[2].

وقد أورد الجرجاني مصطلح العدول للدلالة على ترك طريقة في الصياغة إلى طريقة أخرى أحسن في التعبير عن المعنى ، وذلك في سياق حديثه عن الإظهار والإضمار ، والدواعي الفنية الموجبة لكليهما قال تعليقا على قول الشاعر:

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع .

فقياس هذا لو كان على حد (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أن يقول :لو شئت بكيت دما

فقياس هذا لو كان على حد (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أن يقول : لو شئت بكيت دما ولكنه كأنه ترك تلك الطريقة وعدل إلى هذه لأنها أحسن في هذا الكلام خصوصا، وسبب حسنه أنه كأنه بدع عجيب أن يشاء الإنسان أن يبكي دما فلما كان كذلك كان الأولى أن يصرح بذكره ليقرره في نفس السامع ويؤنسه به "[3].

لقد أتاح النص مسائل فنية لصيقة بهذا المصطلح ومقتضياته الإجرائية ، كآليات تستخدم في إنتاج خطاب استثنائي مفاجئ يستوعب عناصر التفرد ، ويتيح من إمكانات التعبير .

وإضافة إلى الحديث عن العدول نجد دالا لغويا آخرا هو " التغيير " الذي يعبر عن

---

[1] محمد عبد المطلب ،البلاغة والأسلوبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،(د.ط) ،1984م ص: 356 -357 .

[2] عبد السلام المسدي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، (د ط) ، أوت 1986. ص : 26 .

[3] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان (د.ط) ، 1981م ص : 126- 127 .

المضامين نفسها عن الجرجاني " و أما مجال – التحيز – الذي يتميز به الأسلوب كذلك عند عبد القاهر و الذي قلنا من قبل إنّه يعني العدول عن معنى من معاني النحو إلى معنى

آخر لأداء دلالة لا يعطيها المعنى الأول "[1].

ويتجلى البعد الفني في المستوى الثاني للغة ، كإجراء يتيح معان إضافية بديلة مرتبطة بتراثنا البلاغي ، تقوم على الخروج عن مقتضى الظاهر .

لقد ساهم الفلاسفة في إثراء الحديث عن ظاهرة العدول ومسوغاتها ، كما هو مبين في قضايا العلم اللغوي للدكتور المسدي محدثا عن رؤية ابن سينا عندما عالج مسألة الطاقة الإبلاغية في اللغة من حيث الفارق بين النمطي والطارئ فينتهي إلى " اعتبار أن الألفاظ متى استعملت على وضعها الأول كانت دلالتها مناسبة ومعتادة وهو ما يلخصه بعد التحليل في قوله :(الدلالة الناصة) مقابلا بينها وبين (الدلالة المخترعة) التي هي (المستعارة) و(المجازية) ويعرج ابن سينا في موطن آخر على القضية نفسها ، ولكن من منظور إبداعي يتحسس فيه القيمة الشعرية في تصريف مواضعات اللغة عبر التحولات الطارئة على المعنى ، فيقيم توازنا بين دلالة الوضع الأول ، ودلالة الوضع الطارئ انطلاقا من مفهوم دقيق هو (مجاري) الكلام "[2].

ثم يرصد العديد من المصطلحات عند ابن سينا ، والتي تطال في الصميم بعض المواد ذات الصلة المباشرة بظاهرة العدول في البلاغة وإن بدت المعالجة لغوية " ويزيد ابن سينا الموضوع تدقيقا عندما يهتدي إلى جملة من التصورات العملية في وصف ظاهرة التحول الدلالي فيقف على خصائص الطاقة التعبيرية بالكلام متطرقا إليها من نافذتي (التصريح و التعجيب) "[3].

فالانزياح في المفهوم الأسلوبي هو قدره المبدع على انتهاك واختراق المتناول المألوف ، سواء أكان هذا الاختراق صوتيا أم صرفيا أم نحويا أم معجميا أم دلاليا ، ومن ثم يحق النص انزياحا بالنسبة إلى معيار متواضع عليه ، لذا تبقى البلاغة هي التي تسمح بهذه الخلخلات اللغوية ضمن النصوص ، بحملها منت النفعية البلاغية إلى الفنية الجمالية ،

---

[1] شفيع السيد ، الاتجاه الأسلوبي في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ط) ، 1986م ص : 35 .

[2] عبد السلام المسدي ، قضايا العلم اللغوي ، الدار التونسية للنشر ، تونس (د.ط) ، 1994 ص :117 .

[3] المرجع نفسه ، ص: 118 .

وهذا كله وفقا لأفكار وتداعيات خاصة في أطر زمنية ومواقف محدودة تمليها طبيعة المواضيع المتناولة ضمن النصوص حيث إنه من غير المجدي حصر الكلام في تكرار جمل جاهزة، فكل واحد يستعمل اللغة لأجل التعبير عن فكرة خاصة في لحظة معينة ، يستلزم ذلك حرية الكلام، واستقلالية الخوض فيه بارتياح في رحاب لغة فنية أدبية تجعل الجمالية والتأثير غايتها.[1]

ب – وظيفته :

يؤدي العدول وظيفة تحكم في المقام الأول النص وتلقيه ، ولعل الوظيفة الرئيسية التي أكثرت الدراسات الأسلوبية من نسبتها إلى الانزياح هي المفاجأة وغني من البيان أن مفهوم المفاجأة مرتبط أصلا بالمتلقي ، وهو الذي أولته الأسلوبية وغيرها من المدارس عناية خاصة بل أدخلته دائرة الإبداع ، بعد أن لم يكن له في العصور السالفة كبير اعتبار[2]، والاهتمام بالقارئ المتلقي أمر دقيق ، لأن القارئ هو الذي يوجه إليه النص ومن ثم هو الذي يحكم على قيمته بعامة ، لا بل هو شريك المؤلف في تشكيل المعنى ، لذا فإن معظم المناهج النقدية الحديثة على اختلاف اتجاهاتها تعنى بطريقة استقبال القارئ للنص وكذا ما يقوم بينهما من تفاعل.[3]

وقد أدركت معظم الاتجاهات النقدية الحديثة مدى ما للمفاجأة من أثر ، فراحت تركز على العناصر التي من شأنها أن تولد هذه المفاجأة ، ولعلها وجدت في مفهوم الانزياح مصدرا لتلك العناصر ، وهكذا أيضا أصبحت درجة الإبداع تقاس بما يحققه هذا الإبداع من دهشة ومفاجأة تتولدان في الغالب من ضم عناصر لا يتوقع جمعها في صعيد واحد .

وقد أشار شكري عيّاد إلى أن الكتابة الفنية تتطلب من الكاتب أن يفاجئ قارئه من حين إلى حين بعبارة تثير انتباهه حتى لا تفتر حماسته لمتابعة القراءة أو يفوته معنى يحرص الكاتب على إبلاغه إياه ، و في هذا تختلف الكتابة الفنية عن الاستعمال العادي للغة

---

[1] جون كوهن ، بنية اللغة الشعرية : تر: محمد الوالي ومحمد العمري ، دار توبقال ، الدار البيضاء ، ط1 1986م ص :15.

[2] أحمد محمد ويس ، الانزياح من منظور الدراسات الأسلوبية ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2005 م ص :156.

[3] الواد حسين ، في مناهج الدراسة الأدبية ، سراس للنشر ، تونس ، (د.ط) ، 1985م ص: 67 .

الشخص في حديثه العادي يستطيع أن يلجأ إلى وسائل كثيرة مصاحبة للكلام كي ينتبه السامع إلى محتوى الرسالة و من ذلك استخدام النبر و التعبير كحركات الوجه و الإشارة باليدين إلى هز الذراع و غيره ذلك إذا كان في حالة انفعالية تدفعه إلى ذلك ... وإذا كانت هذه الحركات و النبرات لا تفعل فعلها إلا لكونها خارجة عن المألوف ، وكذلك وسائل اللغة التي يراد بها جذب الانتباه إنما تحدث ذلك بفضل ما فيها من المفاجأة أو الخروج عن سياق الكلام العادي أي بفضل ما فيها من انحراف.[1]

إذن العدول (الانزياح) يجذب انتباه المتلقي و هذا الجذب هو أولى المراحل للوصول إلى الإمتاع .

جـ – أنواع العدول(الانزياح):

لعل مما يؤكد أهمية الانزياح انه لا ينحصر في جزء أو اثنين من أجزاء النص ،و إنما له أن يشمل أجزاء كثيفة متنوعة متعددة ، فإذا كان قوام النص لا يعدو أن يكون في النهاية إلا كلمات و جملا ، فان الانزياح قادر على أن يجيء في الكثير من هذه الكلمات و هذه الجمل، وربما صح من أجل ذلك أن تنقسم الانزياحات إلى نوعين رئيسيين تنطوي فيهما كل أشكال الانزياح، فأما النوع الأول فهو ما يكون فيه الانزياح متعلقا بجوهر المادة اللغوية و هو ما سماه كوهن **الانزياح الاستبدالي** ، و أما النوع الثاني فهو يتعلق بتركيب هذه مع جارتها في السياق الذي ترد فيه ، سياقا قد يطول أو يقصر وهذا ما يسمى **بالانزياح التركيبي** .[2]

2 . إشكالية المصطلح :

إن أي علم يرتبط نجاحه بتحديده للموضوع ، فلقد استخدم بعض العرب عدة مصطلحات مرادفة لمصطلح العدول منها :

أ – اللحن :

لقد استوقف الباحث ظاهرة اللحن نتيجة لملمحها الأسلوبي ، ولما كان القصد من تناول مصطلح العدول هو في النهاية بحث البدائل ذات الطابع الفني في التراث الأدبي ، وجدتني أقف عند مصطلح – اللحن – انطلاقا من الرؤية ذاتها .

---

[1] محمد شكري عياد ، اللغة والإبداع ، مبادئ علم الأسلوب العربي ، القاهرة ، طبعة انثر ناسيونال برس ، ط1 ،1988 م ، ص:81 .

[2] جون كوهن ، بنية اللغة الشعرية ، مرجع سابق ، ص : 205 .

يقول الزمخشري في تفسيره (في لحن القول) في نحوه وأسلوبه : وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أي تميل إلى نحو من الأنحاء ليفطن له صاحبك كالتعريض والتورية قال :

ولقد لحنت لكم لكي ما تفقهوا واللحن يعرفه ذو الألباب

وقيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب ؛[1] فورود هذا المصطلح عند الزمخشري يمعن في تأكيد التفطن لظلاله الأسلوبية التي تستوجب نمطا إجرائيا متميزا .

الأمر الذي يفهم من هذه الإضافة " قيل للمخطئ لاحن " إن اللحن بمعنى الخطأ معنى طارئ على المعنى الأصلي وهو الميل الذي يقدح الألباب للغوص على المعنى وكشفه.[2]

أستخلص من هذه الملاحظات ثراء تراثنا في مجال تحسس مكامن الجمال ، والذي لفت إلى دوال حبلي بعناصر الكشف عن قيم الأساليب الفنية ، وما تتيحه من طاقات إنشائية مختلفة.

ومن تلك المصطلحات أيضا :

ب – الإحـــالـــة :

قد ورد هذا المصطلح في الحديث عن شعر أبي تمام الذي عرف باستعاراته البعيدة ، ومعانيه المولدة ما يؤكد الحقيقة الإجرائية لهذا المفهوم ، وهي تقوم أساسا على تكييف الأساليب تكييفا خاصا ، حيث توصل المعاني في قوالب تمكن لتفرد المبدع ، فأبو تمام إذن " شاعر عدل في شعره عن مذاهب العرب المألوفة إلى الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام إلى الخطأ أو الإحالة " [3]

أما الإحالة اصطلاحا تعد الإحالة من العلاقات التي تساهم في تشكيل وحدة النص وانتظام العناصر المكونة له .[4] والإحالة نوعان : إحالة مقامية وإحالة نصية .

ولا شك أن القصد من رصد هذه الصيغ ، ليس الدعوة إلى توسيع استخدامها لأننا ارتضينا

---

[1]أبو القاسم جار الله محمد الزمخشري ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة ، بيروت ج3 ،(د.ت) ص :459 .

[2]حمادي صمود ، التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره ، الجامعة التونسية ، تونس ،(د.ط) ،1981م ص : 400.

[3]طراد الكبيسي ، الانحراف في لغة الشعر ، مجلة الأقلام العدد الثامن ، العراق 1998 ص : 36 .

[4]عثمان أبو زيد ، نحو النص ، إطار نظري ودراسات تطبيقية ، عالم الكتب الحديث ، ط1 ،2010 ص : 106 .

مصطلح (العدول) بديلا ، وعملنا على تبرير الاعتقاد فيه ، ولكننا أردنا الإشارة إلى أن هناك من استعمل ردائف تساهم في إثراء هذا العقل الدلالي .

ومن المصطلحات التي راجت تحمل بعض من عناصر التعبير الخاص ، حيث الحيد عن المتعارف عليه من التعابير ، لصالح صناعة أسلوبية خاصة ، يمكن أن تضاف للحن والإحالة .

جـ – الغلط :

ربط الدكتور عبد الحكيم راضي بين دلالة هذا المصطلح وإجراءات اللغة المحققة للقول البليغ الوثيق الصلة بالأدبية وبين مفهوم الغلط من منظور أسامة بين منقذ الذي يعتبره من فنون البديع حينما نقل تصريحه بأن (الغلط هو أن يغلط في اللفظ وما يغلط في المعنى) مثل قول زهير :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم توضح فتفطم

أراد : (أحمر ثمود).. ومن ذلك :

وما نزلت بها إلا وأرقني صوت الدجاج وضرب بالنواقيس

وقد غلط الشاعر – كما يقول – في قوله صوت الدجاج ، وهو يقصد صوت الديوك ، لأن الدجاج لا يصيح .[1]

ومنه نعرف أن الغلط بهذا المعنى يدخل في عداد القول الخاص ، ويتيح لنا إدراك إلى أي مدى كانت نظرات اللغويين في موضوع الدلالة حاضرة تحت ملاحظة البلاغيين وهم يدخلون في لغة الأدب على أنها تجاوز لما وضعوه من معايير صارمة .

[1] عبد الحكيم راضي ، نظرية اللغة في النقد العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د . ط) ، 1980م ص : 203 .

الفصــل الأول

العدول التركيبي وعلم المعانـي

أوّلا : التقديم والتأخير

ثانيا : الحذف

ثالثا : الالتفات

تمهيد:

إنّ التركيب عنصرا مهما و فاعلا في عملية الإبداع ، و الدّرس الأسلوبي يهتم بالتركيب فضلا عن اهتمامه بمعرفة الأبعاد الدّلالية لهذا التّركيب ، فالنّص لا يُجرّد من قيمته الدّلالية عند الحديث عن ميزاته التّركيبية بل يتضافر فيه هذان العاملان ، ليشكّلا بنية فنية ذات نسق جمالي ، وهذا ما أشار إليه الجرجاني في نظرية النّظم حين قال : " والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ، ويعمد بها إلى وجه من الترتيب و التّركيب ، فلو أنّك عمدت إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عدّا كيفما جاء و اتّفق ، و أبطلت نضده ونظامه الّذي عليه بُنِيَ ، وفيه أُفْرِغ المعنى وأجرى ، وغيّرت ترتيبه ... أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان ".[1]

وعليه فـ "**العدول التّركيبي** " يقصد به : "العدول عن القواعد المألوفة ، وهو يمثل تقنية أسلوبية يعتمدها المبدع لإثراء النّص بالالتفاتات الدّلالية التي تكشف من خلال القراءة الدّقيقة لبنية النص ونسيجه ، و أهداف المبدع ومقاصده ، فهو يحدث نتيجةً لِعِلَلٍ بيانية يتطلّبها تأليف الكلام للحصول على قواعد دلالية غير متاحة بدونه ".[2]

أمّا"**علم المعاني**" فهو عبارة عن أصول وقواعد يعرف بها كيفية مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرضِ الذي سيق فيه موضوعه اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثّواني[*] التي هي الأغراض المقصودة الحال– وواضعه– الجرجاني (ت 471هـ)

و في هذا الجزء سأتطرق إلى ذكر عدة ظواهر والتي من خلالها يتجسد العدول (الانزياح) في المستوى التركيبي مع التمثيل لكل ظاهرة بنماذج تطبيقية من عدة آيات من القرآن الكريم وهذه الظواهر هي : التقديم والتأخير والحذف والالتفات .

لقد تفطنت بلاغتنا العربية مبكر الأسس الجمال في صناعة الخطاب عبر مظاهر العدول، وتجاوز المستوى الأول للغة القائم على الإخبار ، ولعل استنكار الجرجاني للنظرة السطحية التي عولجت بها قضايا المعاني عند بعض النقاد القدامى جعلته يشير إليهم

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق محمد رشيد رضا ، دار المطبوعات العربية للطباعة ،(د.ت.ط) ص:15

[2] علي عكاب طرموز، الاتجاهات الأسلوبية المعاصرة في دراسة النص القرآني،رسالة دكتوراه جامعة الأنبار،2002م، ص : 186 .

*المعاني الثواني هي الأغراض التي سيق لها الكلام ولذا قيل مقتضى الحال هو المعنى الثاني كرد الإنكار و دفع الشّك ، مثلا إذا قلنا إنّ زيدا قائم ، فالمعنى الأوّل هو القيام المؤكّد ، و المعنى الثاني رد الإنكار ودفع الشّك بالتوكيد والذي يدل على المعاني خمسة أشياء : اللفظ و الإشارة و الكتابة والعُقَدْ والحال .

بقوله : " ترى كثيرا منهم لا يرى له معنى أكثر مما يرى للإشارة بالرأس والعين وما يحده الخط والعقد ، يقول إنما هو خبر واستخبار وأمر ونهي ، ولكل من ذلك لفظ قد وضع له ، وجعل دليلا عليه "[1] ثم يحدد المستوى الخاص الذي يفترض أن تبحث فيه المعاني ، والذي يحتم قدرات متفردة ، تسعف صاحبها على الغوص في كنه بنية الأساليب وأثرها في إنتاج مستويات من الدلالة ما خفي فيها يفوق ما ظهر " لا يعلم أن هاهنا دقائق وأسرارا طريق العلم بها الروية والفكر ، ولطائف مستقاها العقل ، وخصائص ومعاني يتفرد بها و قوم قد هدوا إليها، ودلوا عليها، وكشف لهم عنها، ورفعت الحجب بينهم وبينها ..."[2]

واضح أن ثمة بعدا آخر لعلم المعاني،لا يقف عند مجرد الإفادة حين تواصل الناس بعضهم مع بعض ، بل يتعداه إلى تحقيق التأثير بإمكانات جمالية كثيرة تختص بمستوى الإبداع باللغة ، الأمر الذي لا يتأتى إلا :"بالتغيير في الصياغة و التركيب ،بترك المسند إليه أو ذكره ، و بتعريفه أو تذكيره، و بتقييده أو إطلاقه، و بتقديمه أو تأخيره ، ففي مثل هذه الصياغة تأتي الإفادة اللطيفة "[3]

و الإفادة اللطيفة تتحقق عن طريق قيم أسلوبية أساسية ، تمدنا بإجراءات إحداث التأثير في الخطاب ، بعدد غير قليل من فنيات العدول عن الأساليب النمطية التي تتسبب في إحداث دواعي الرتابة والملل ، و انه لا بد من ملاحظة مقتضى الحال ،حتى تتشكل التراكيب بما يترجم بصدق واقعة الاتصال المؤثرة "وكل مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار... و لكل ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر"[4]

وقد لاحظ الدكتور محمد عبد المطلب أن طاقة الإيحاء بالمعاني الثواني تستهدف بتجاوز المألوف من التراكيب اللغوية،بل أكثر من ذلك عندما جعلها الأساس الذي تقوم عليه أبواب المعاني وذلك حين اعتبار أنه:"يمتنع فيها إجراء الكلام على الأصل،وهي أبواب تقوم أساسا على العدول في اللغة عن مستوى استخدامها المألوف"[5] ، و فيما يخص علم المعاني فقد عرّفه السّكاكي بقوله: " إنه تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من

---

[1] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق السيد الإمام محمد رشيد رضا، مرجع سابق ، ص:64.

[2] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ، مرجع سابق ، ص ن .

[3] أبو يعقوب يوسف محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم،شرح الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت 1983 م ص:162.

[4] المرجع نفسه ، ص:168.

[5] محمد عبد المطلب،البلاغة و الأسلوبية،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، (د.ط)1984 م ص:270.

الاستحسان و غيره،ليتحرز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره" .[1]

ومن الأمثلة التطبيقية الناطقة بقدرة بلاغتنا العربية على تمثل إمكانات الإجراء الأسلوبي والتي لا أزعم لها الوفاء بكل العناصر الأسلوبية التي يتيحها العدول في علم المعاني بل حسبها أن تكون نماذج لذلك :

أولا : التقديم والتأخير :

يتصل مبحث التقديم والتأخير بدراسة التركيب،ومن هذا كان شديد الارتباط بقضايا اللغة من حيث طبيعتها في الإبلاغ تبعا لمنطق عقلي سليم يتولى ترتيبها وفق نسق محدد . كما يتصل من ناحية أخرى بقضايا البلاغة انطلاقا من ظاهرة الانفلات من القوالب الجاهزة " فالتقديم و التأخير زيادة في إيضاح المعنى وتحسين الكلام ، ولهذا يتصل التقديم والتأخير بالبلاغة وثيق الاتصال"[2].

التقديم هو تبادل في المواقع، تترك الكلمة مكانها قي المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى لتؤدي غرضا بلاغيا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي، ويستلزم التقديم تأخيرا فكل تقديم يلزمه تأخير بالضرورة فالمبتدأ الذي يترك مكان المقدمة للخبر يحدث بينهما التقديم والأخير بالضرورة لأننا حين نقدم ما لاحق له في التقديم "تقديما وكذا التأخير" وحين نقدم ما لاحق له في التقديم نكون قد أحدثنا تفسيرا في الموقع وفي الصلاحيات وفي الأضواء ، وفي الأثر النفسي لأن المقدم يحتل مركزا ممتازا فهو أول ما تقع عليه العين وأول ما تتأثر به وأول ما تعجب به، وأول ما تقع النفس تحت أضوائه فتشغل به لأنه يستحق هذا و لأنه في غير مكانه الذي تعودنا أن نراه فيه ، ثم تأتي الألفاظ الأخرى فتكون الشحنة التي استحوذ عليها اللفظ المقدم .[3]

ويتبوأ مبحث التقديم في الدرس البلاغي مكانا مرموقا يرد في أصله إلى أهمية ما يقوم في الكلام الأدبي ،و هو انزياح في التركيب لأنه لا يظهر إلا من خلال التركيب ،بل لعله اظهر ما يقوم به المبدع من تركيب .[4] و هو باب كما يقول الجرجاني كثير الفوائد ،جم

---

[1] أحمد أبو حاقة ، البلاغة والتحليل الأدبي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط2 ، 1993 م ص:99.

[2] المرجع نفسه ، ص ن .

[3] منير سلطان ، بلاغة الكلمة والجملة ، منشأة المعارف الإسكندرية ، مصر ، (د.ط) ، 1988م ص : 138.

[4] أحمد محمد ويس ، الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا ، (د.ط) ، 2002م ص : 163 .

المحاسن ، واسع التصرف ، بعيد الغاية ،لا يزال يفتر لك عن بديعه ، و يفضى بك إلى لطيفه ، و لا يزال ترى شعرا يروقك مسمعه،و يلطف لديك موقعه ، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطفك عندك أن قدم فيه شيء و حول اللفظ عن مكان إلى مكان .[1]

وقد قسم الجرجاني التقديم إلى قسمين :و ذلك حين قال"و اعلم أن تقديم الشيء على وجهين:

تقديم يقال إنه على نية التأخير وذلك في كل شيء أقررته مع التقديم على حكمه الذي كان عليه في جنسه الذي كان فيه،كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ،و المفعول إذا قدمته على الفاعل،كقولك :مُنْطَلِقٌ زَيْدٌ وضَرَبَ عُمَراً زَيْدٌ . معلوم أن "مُنْطَلِقٌ"و"عُمَرًا" لم يخرجا بالتقديم عما كانا عليه من كون هذا خبر مبتدأ مرفوعا بذلك وكون ذلك مفعولا ومنصوبا من أجله ، كما يكون إذا أخرّت ، وتقديم لا على نية التأخير ولكن على أن تنقل الشيء عن حكم إلى حكم وتجعل له بابا غير بابه ، و إعرابا غير إعرابه ، و ذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل كل واحد منهما أن يكون مبتدأ أو يكون الآخر خبرا له فتقدم تارة هذا على ذاك وأخرى ذاك على هذا ، ومثاله ما تصنعه بزيدٍ والمنطلقُ حيث يقول مرة : زيدٌ المنطلقُ و أخرى :المنطلقُ زيدٌ ، فأنت في هذا لم تقدّم المنطلق على أن يكون متروكا على حكمهالذي كان عليه مع التأخير فيكون خبر مبتدأ كما كان بل على أن تنقله عن كونه مبتدأ ،وكذلك لم تؤخر زيدًا على أن يكون مبتدأ كما كان ، بل أن تخرجه عن كونه خبرًا"[2]

فالتقديم و التأخير يؤثران في معنى الجملة،كما أن : التقديم و التأخير أحد أساليب البلاغة القديمة دليل الفصاحة و التمكن في ناحية الكلام وهو باب واسع يشمل كثيرا من أجزاء الكلام والمقصود هنا المسند و المسند إليه،وقد فصّل الزركشي الحديث فيه، تفصيلا دقيقا على حد تعبير الدكتور أحمد مطلوب[3]وقد كان هذا الأسلوب محط اهتمام البلاغة قديما وأصبح اليوم في ظل الأسلوبية الحديثةويعد التقديم والتأخير بما يتولد عنه من خرق ترتيب عناصر الكلام من أهم القضايا التي طرحت على بساط الجدل ...[4]

---

[1]عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد رضوان الدّاية وفايز الدّاية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2008م ص : 143.

[2]عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد رضوان الدّاية وفايز الدّاية ، مرجع سابق، ص :143- 144.

[3]ابن ناظم ، المصباح في المعاني و البيان و البديع ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، منشورات محمد علي ، دار الكتب بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001م ص.

[4]عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2 ، 1982 م ص : 163 .

1- التقديم :

إن الألفاظ قوالب المعاني فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي بحسب ترتيبها الطبيعي ،ومن البين أن الرتبة للمسند إليه لأنه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير إذا هو المحكوم به وما عداه فتوابع ومتعلقات تأتي تالية لهما في الرتبة.

2- التأخير :

قد يتقدم المفعول به على الفاعل مثلا أو خبرا على المبتدأ لأسباب نحوية كما تترض عناصر الجملة الفعلية و الاسمية إلى التقديم و التأخير لأداء أغراض بلاغية أساسها الاهتمام بالمتقدم وتركيز الأنظار نحوه و غيرها من الأغراض البلاغية أو لا يكون على نية التأخير و لكن أن ينقل الشيء من حكم إلى حكم اخر كما يذكر اسمين يصلح أن يكون مبتدأ فيقدّم كلا منها تارة ...[1]

وعليه التقديم و التأخير من الظواهر التي وقف عندها الدرس النحوي البلاغي العربي في سيرورته ، ومما تقدم يتضح أن الأسلوبية وخاصة ظاهرتي التقديم والتأخير لهما علاقة بالنحو والبلاغة وكذلك الفصاحة و حسن التصرف في الكلام وهذا ما ينصب في البلاغة و النحو معا .

وسأحاول تسليط الضوء على هذه الظاهرة في القران الكريم ، كما أحاول فض الغبار عليها لأخرجها في صورة واضحة و مفهومة ، و لمعرفة المرتكزات الأساسية التي تقوم عليها هذه الظاهرة ، والأغراض الوظيفية المرجوة من ورائها .

- **نماذج تطبيقية لظاهرة التقديم والتأخير في آيات من القران الكريم :**

لاشك في أن الانحراف و العدول عن البناء الأصلي للجملة قد يتيح للمبدع مساحة واسعة من القدرة على إيصال رسالة للمتلقي إذا استدعى هذا الإيصال انحرافا ، إلا أن هذا العدول لا يمكن أن يمثل قيمة ثابتة للنص ، بحيث يكون التقديم لما حقه التأخير أبلغ دائما ، و لذلك ثار الأسلوبيون على نظرية القيمة الثابتة[2].

---

[1] كمال الدين البحراني ، أصول البلاغة ، تحقيق عبد القادر حسين بكلمة البنات ، دار الشّروق ، جامعة الأزهر، تونس ، (د.ت.ط) ص : 93 .

[2] مختار عطية ، التقديم والتأخير و مباحث التراكيب بين البلاغة و الأسلوبية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النّشر، الإسكندرية ،(د.ت ط) ص : 58 .

1 / التقديم والتأخير في الجملة الفعلية :

إن الأصل في ترتيب عناصر الجملة الفعلية أن يأتي الفعل أولا ، ثم الفاعل ويليه المفعول به ثم تذكر المكملات كالنعت و الحال والتمييز...ومثال ذلك في القران الكريم ما يأتي :

أ- تقديم المفعول به اسما ظاهرا :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [1]

أي أنّ اللّه لم يظلمهم بذلك التحريم و لكن ظلموا أنفسهم حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه ، وقُدّم المفعول لإظهار الاهتمام بأنفسهم لما ألحقوه بها من عقاب بسبب ظلمهم لها.[2]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [3]

رد لما أمروه من استسلام بعض آلهتهم ، و كأنه قال : " لا تعبُدْ ما أمَرُوكَ بِعِبَادَتِهِ بَلْ إنْ كُنْتَ عَاقِلًا فاعبُدِ اللَّهَ "[4]

ب - تقديم المفعول به ضميرا منفصلا على فعله :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [5] ؛ حيث قدّم إيّاك على فعل العبادة مرة و على فعل الاستعانة مرة أخرى ؛ أي قدّم العبادة على الاستعانة لأن تقديم القربة و الوسيلة قبل طلب الحاجة أنجح لحصول الطلب و أسرع لوقوع الإجابة ، ولو قال : "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ وَإِيّاكَ نَعْبُدُ" لكان جائزا إلاّ أنه لا يسد ذلك المسد ، ولا يقع ذلك الموقع فظهر التقديم وسيلة من وسائل علم المعاني في المستوى التركيبي الإبلاغي ، و يكون قد أبان عن حصول الطلب وسرعة وقوع الإجابة ، ويظهر ذلك جليا إذا غيّبنا التقديم ، إذ لا محالة يغيب المعنى الذي

---

[1] النحل

[2] علي أبو القاسم عون ، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان، ط1، ج2 ، 2006م ،ص: 592 .

[3] الزمر

[4] الزمخشري محمود ابن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، دار المعرفة، بيروت ، (د.ت.ط) ،ج4 ،ص:142 .

[5] الفاتحة

حصل به التقديم .[1]

قَالَ تَعَالَى:﴿ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[2]؛ فتقديم (إيّانا) على (يعبدونَ) دون أن يقول يعبدوننا للاهتمام بهذا التبرؤ مع الرعاية على الفاصلة .[3]

وكذلك في تقديم المفعول به في قَالَ تَعَالَى:﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[4] ؛ فالخطاب للملائكة و التقريع للكفار[5]، ففي الاستفهام تقريع وتبكيت لهم.

و في قَالَ تَعَالَى:﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[6]

روا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى خالصا ، وإن كانوا إيّاه يعبدون و كانوا موحدين غير مشركين .[7]

جـ – تقديم المفعول على الفعل :

درس النحويون مسألة تقديم المفعول به على فعله من ناحية الجواز و الوجوب.فأصل الرتبة في الجملة الفعلية أن ينفصل الفعل عن المفعول بالفاعل ، ولكن يحكم هذه الرتبة حالات وجوب و جواز. فيتقدم المفعول على الفعل وجوبا في مواضع عديدة منها : *أن يكون المفعول به من الكلمات التي لها الصدارة في الجملة مثل :(أسماء الاستفهام ،و أسماء الشرط وكم الخبرية) نحو قَالَ تَعَالَى:﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[8]، قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴿١١٠﴾ ﴾[9]؛ فالكلمتين (أيّ) و(أيّا) وقعتا مفعولا به واجب التقديم لحقّهما

---

[1] عمار ساسي ،الإعجاز البياني في القرآن الكريم دراسة نظرية في الآيات المحكمات ، عالم الكتب الحديث ،عمان الأردن ، ط1 ، 2007 م ص : 238 .

[2] القصص

[3] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدّار التونسية للنشر ، تونس ، (د.ت.ط) ،ج20 ، ص : 159.

[4] سبأ

[5] الزمخشري محمود بن عمر ،الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مرجع سابق،ج3، ص:587.

[6] فصلت

[7] الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج4 ، مرجع سابق، ص :201 .

[8] غافر.

[9] الإسراء.

في صدارة الجملة .[1]

*أن يكون المفعول به واقعا في جواب (أمّا) وليس هناك ما يفصل بينهما و بين الفعل سوى المفعول نحو **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾﴾ [2]، و قد تقدر أمّا في المعنى نحو **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ ﴾[3]، فإن وجد فاصل بين (أمّا) وبين (الفعل) بغير المفعول لم يجب تقديمه .[4]

أمّا تأخير المفعول وجوبا فقد أوجب له النحويون عدة مواضع أهمها :

*أن يكون المفعول به مصدرا مؤولا من (أن المؤكدة و معموليها) مخففة كانت أم ثقيلة ، مثل **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ ﴿٢٠﴾ ﴾ [5]، إلاّ إذا تقدّمت عليه (أي :المفعول المؤول) (أمّا) فلا يجب تأخيره.

هـ – تقديم المفعول به على الفعل والفاعل :

كما يتقدم المفعول على الفعل فهو يتقدّم على الفاعل أيضا ، وتكون له دلالة بلاغية تستدعيها غاية الكلام ؛ حيث يقدّم على الفاعل جوازا و وجوبا عند النحويين.

ومن هذا القبيل أيضا تقديم المفعولات بعضها على بعض ، كتقديم الشركاء على الجن في **قَالَ تَعَالَى:** أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [6]، يقول " الفخر الرازي " فإذا قدّمت (الشركاء) أفاد أنه ما كان ينبغي أن يكون لله شريك لا من الجن ولا من غير الجن ، أما تقديم (الجن) في قولنا " وجعلوا لله الجن شركاءً " فهو إخبار بعبادتهم الجن من دون الله ،لكنه لا ينفي وجود معبود آخر و ثالث ورابع من غير الجن ؛ أي :(كأن كلمة "شركاء " حلّت محل "الجن " و أخذت إعرابها و تقدّمت عليها ، فزحزحتها عن مقامها في المعنى ،لأن الإعراب فرع على المعنى ، فتقديم "شركاء "

---

[1] أسامة عبد العزيز جاب اللّه ،أسلوب التقديم والتأخير رؤية جمالية ، دار ومكتبة الإسراء للطبع و النّشر ، فلسطين، (د.ط) 2009 م ، ص : 237 .

[2] الضحى .

[3] المدثر : 02-04 .

[4] أسامة عبد العزيز جاب الله ، أسلوب التقديم والتأخير رؤية جمالية ، مرجع سابق ، ص :238 .

[5] المزمل .

[6] الأنعام.

يدعو إلى استقباح وقوع الفعل منهم أصلا ، أيًا كان المفعول جنا أم غيره . فلا يصح أن يكون له . سبحانه . شركاء يعبدون من دونه .[1]

و – تقديم المفعول به على الفاعل :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴿١٥٨﴾﴾ [2]

قدّم المفعول (نفسا) على الفاعل لإظهار الاهتمام بالمفعول من جهة عمومه و شموله للنفس الكافرة و المؤمنة العاصية ،و الدليل على أنّ المقصود بالنفس الكافرة و المؤمنة **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [3]، و فاعل (لا ينفع) أمران هما الإيمان و التوبة حذف منهما الأخير.[4]

و في **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [5]

قدّم المفعول به (وجوههم) للاهتمام به باعتباره أشرف عضو ظاهر في الإنسان تقع عليه النار مبالغة في الوعيد .[6]

ي – تقديم متعلقات الفعل :

وقد تتقدم **متعلقات الفعل** لانّ في تأخيرها إخلالاً بالمعنى المراد ،و من ذلك **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴿٢٨﴾﴾ [7]؛ فلو تأخر "مِنْ آلِ فِرْعَونْ" وتقدّم "تَكْتُمُ" لوقع الوهم أنّ "مِنْ" متعلقة بـ "يَكْتُمِ " فلم يفهم حينئذ أنّ الرجل من آل فرعون

و من تقديم المتعلقات أيضا **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [8]

حيث تقدّم المجرور لدفع الوهم،لاشتمال سياق الآيات قد لها على سوء معاملة أهل القرية

---

[1] محمد الرازي فخر الدين " الفخر الرازي " ، التفسير الكبير ، دار الفكر للطباعة والّنشر والتوزيع ، بيروت،(د.ط)، 1401 هـ – 1981 م ص :315 .

[2] الأنعام .

[3] الأنعام .

[4] علي أبو القاسم عون ، بلاغة التقديم و التأخير في القرآن الكريم ، ج2 ، مرجع سابق ، ص : 596 .

[5] المؤمنون.

[6] علي أبو القاسم عون ، بلاغة التقديم والتأخير في القرآن الكريم ، ج2 ، مرجع سابق، ص ن.

[7] غافر .

[8] يس.

الرسل(فكان مظنه أن يعلن السامع على مجرى العادة تلك القرية و يبقى محيلا في فكرة أكانت كلها كذلك أم كان فيها قطر دانٍ أم قاصٍ مثبت خير منتظراً لإلمام الحديث به .[1]

و كذا في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ ﴿٣٣﴾﴾ [2] بتقديم المجرور على الوصف،و ذلك لأنه تأخر عنه (لاحتمل أن يكون من صلة الدنيا واشتبه الأمر في القائلين أنّهم من قومه أم لا)[3]

رأيت بأنّه قد يتقدّم المجرور على الفعل . سابقا . كما قد يتقدّم الظرف أيضا على الفعل و الفاعل ، سواء أكان للزمان أو للمكان ، أم كان جارا و مجرورًا ، ويرى " الزركشي " أنّ تقديم الظرف في الإثبات يدل على الاختصاص ؛ كما في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾ ﴾[4]، ويعلّق على تقديم الظّرف في قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لِّيَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴿١٤٣﴾ ﴾[5]، بقوله (أخرت صلة الشهادة في الأوّل وقدّمت في الثاني ؛ لأنّ الغرض في الأوّل إثبات شهادتهم على الأمم ، و في اختصاصهم بكون الرّسول شهيدا عليهم)[6]

2/التقديم و التأخير في الجملة الاسمية :

إنّ الأصل في تقديم الجملة الاسمية أن يتقدّم المبتدأ على الخبرثمّ تأتي العناصر المكملة

أـ تقديم المبتدأ :

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[7]، أي لا تنقصون شيئا مما وعدتهم من الثواب المضاعف ، وتقديم (أنتم) على الخبرالفعلي للتّقوى و زيادة التّنبيه على أنّهم لا يُظلمون وإنّما يظلمون أنفسهم[8]، حيث أفاد التقديم إضافة للتوكيد قصر

---

[1] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1424 هـ – 2003م ص : 69 .

[2] المؤمنون : 33 .

[3] الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، مرجع سابق ، ص ن .

[4] الغاشية : 25 – 26 .

[5] البقرة : 143 .

[6] علي أبو القاسم عون ، بلاغة التقديم و التأخير في القرآن الكريم ، ج2 ، مرجع سابق ، ص : 267 .

[7] البقرة : 271 .

[8] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج07، مرجع سابق ، ص : 61 .

الظلم من أنفسهم على أنفسهم ، و المبتدأ المقدّم أصله مفعول به لفعل الظلم المسلوب ؛ فالتقديم أكّد سلب الفعل عنه، فلا يظلم المنفق ولاينقص ثواب من أنفق؛لذلك لاعذرله في عدم الإنفاق.[1]

وفي **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾[2]

قُدِّم المسند إليه (أنت) وجاءت الجملة في كنف الدّعاء ، و هي جملة مادحة له . سبحانه . أي أنت سيّدنا ونحن عبيدك ، أو ناصرنا ومتولي أمرنا .[3]

هذا فيما يخص **تقديم المبتدأ** أمّا **تقديم الخبر** ليست له مواضع كثيرة في القرآن الكريم و لكن سأعرض بعضها :

ب – تقديم الخبر:

و هو من قبيل ما تناوله البلاغيون ضمن تقديم المسند . وحقّه الأخير . على المسند إليه ويكون التقديم إمّا لتخصيص المسند بالمسند إليه . **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ ﴾[4]

ومن أمثلة **تقديم الخبر** على المبتدأ أيضا **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾[5]، "فثم" خبر مقدّم و(وجه الله) رفع بالابتداء وهو من المواضع التي يجب فيها تقديم الخبر عند النحويين لأنّه اسم إشارة ، وهو بمعنى جهته التي أمر بها و رضيها ،والمعنى أنّكم إذا منعتم أن تصلوا في المسجد الحرام أو في بيت المقدس ، فقد جعلت لكم الأرض مسجدا فصلوا في أي بقعة شئتم من بقاعها ، وافعلوا التولية فيها ، فإن التولية ممكنة في كل مكان لا يختص إمكانها في مسجد دون مسجد ولا في مكان دون مكان[6]. فتقديم الخبر "ثم" للاهتمام فيها بالمكان من جهة عمومه وإباحة الصلاة فيه و للتنبيه لعدم الاختصاص ، فالاهتمام فيهاأعلم ظهر في موضع واحد من مواضع تقديم الخبر مفردًا.[7]و **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾[8]، "فسلام" خبر مقدّم و"هي" مبتدأ مؤخر

---

[1] المرجع نفسه ، ج3 ، ص : 884 .

[2] البقرة .

[3] الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج1 ، مرجع سابق، ص:333 .

[4] الكافرون.

[5] البقرة .

[6] الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، مرجع سابق ، ص : 180 .

[7] علي أبو القاسم عون ، بلاغة التقديم و التأخير في القرآن الكريم ، ج2 ، ص :340 .

[8] القدر.

وقد جاء في الكشاف :"ما هي إلاّ سلامة ، أي لا يقدّر فيها إلاّ السلامة والخبر ، ويقتضي في غيرها بلاء وسلامة ، أو ما هي إلاّ سلام لكثرة ما يُسَلِّمون على المؤمنين"[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ ﴿٥﴾﴾[2]، "فقولهم" مبتدأ ، وعجب :خبر مقدّم .[3]

وقد يكون"**تقديم الخبر جملة فعلية**" ومثال ذلك في القرآن الكريم **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴿٣﴾﴾[4]، لقد اختلف المعربون في إعراب هذه الآية ولا نجد منهم من أعرب " الذين " مبتدأ مؤخر و"أسروا"خبرا مقدّما إلاّ الكسائي. **قَالَ تَعَالَىٰ:** ثُمَّ عَمُوا۟ وَصَمُّوا۟ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ﴿٧١﴾﴾[5] إن (كثير) مبتدأ مؤخر و ليس بدل ، و على هذا الرأي يقول "على أبو القاسم عون) إنّ تقديم الخبر جملة فعلية هنا للاهتمام و العناية بهذا السلوك و هو الرّجوع إلى الاشتراك بعد التوبة، فهذا أمر يلفت الاهتمام لغرابته .

و قد يكون "تقديم الخبر شبه الجملة" ومثال ذلك في **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ ﴿٧٣﴾﴾[6]،ف(قوله الحق) مبتدأ و(يوم يقول): خبره مقدم عليه ، و انتصابه بمعنى الاستقرار، و اليوم بمعنى الحين ،أي أنّه حين يقول لشيء من الأشياء (كن) فيكون ذلك الشيء قوله الحق و الحكمة[7].

و **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾[8]، فقوله (فوق) خبر مقدّم، و(عليم) مبتدأ مؤخر، و الظاهر في التقديم تقوية الفوقية العلمية و توكيد أمر الترقي العلمي ، والتفاوت المعرفي.[9]

وسأعرض أمثلة أخرى عن ظاهرة التقديم والتأخير في القرآن الكريم وهي :

---

[1] الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج4 ، ص:781 .

[2] الرعد.

[3] الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج2 ، مرجع سابق، ص : 342 .

[4] الأنبياء.

[5] المائدة .

[6] الأنعام .

[7] الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج2 ، ص:38 .

[8] يوسف.

[9] علي أبو القاسم عون ، بلاغة التقديم و التأخير في القرآن الكريم ، ج2 ، مرجع سابق ، ص : 264 .

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ ٣٦﴾[1]

والتقديم الحاصل في الآية الكريمة يمكن في جملة"بل أنتم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ" حيث يمكن تخريجها على النحو التالي :"بَلْ أَنْتُمْ تَفْرَحُونَ بِهَدِيَّتِكُمْ" ، وقد جاء تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي لإفادة القصر أي أنتم وهو الكناية عن رد الهدية.[2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ ٤٥﴾[3]، وفي جملة "ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا" تقديم المجرور على المفعول لأن ما حل بالقوم أهم ذكرا في هذا المقام ، والمجرور" ثمود" هو محل العبرة أما المفعول فهو محل التسلية والتسلية غرض تبعي[4].

و عليه نستطيع القول إنّ هذا التقديم إنّما جاء لغاية تتصل بالدلالة وهي التركيز على قوم ثمود.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ٧٩﴾[5]، فتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي اقتضاه مقتضى جلب التوكيد لإفادة التعليل فلا يفيد تخصيصا ولا تقوية.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨٤﴾[6]

في الآيتين الكريمتين تقديم وتأخير ، وقد تقدّم"يوم" وهو منصوب على أنّه مفعول به على تقديم "أذكر" أو على أنّه متعلّق بقوله "قال كذّبتم" وفعل "قال كذّبتم بآياتي" هو صدر الجملة والتقدير : "وقال أكذّبتم بآياتي يوم نحشر من كل أمة فوجا وحين جاءوا" والعدول الحاصل في الآيتين الكريمتين إنّما جاء بغرض الاهتمام بـ "يوم" لأن هذا الحشر حشر خاص بعد حشر جميع الخلق المذكور سلفا في قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٨٧﴾[7].

---

[1] النمل.

[2] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج19 ، مرجع سابق ، ص : 219 .

[3] النمل.

[4] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج19 ، مرجع سابق ، ص : 278 .

[5] النمل.

[6] النمل .

[7] النمل.

حيث يحشر في هذا اليوم من كل أمة مكذّبوا رسلها ، وعليه فهذا التقديم جاء لغرض دلالي مفاده شدّة هذا اليوم وأهميته و هوله.[1]

ثانيا : الحذف

لغة : الإسقاط ، ومنه حذفت الشّعر إذا أخذت منه .

اصطلاحا : إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل ، وأما قول النّحويين : الحذف لغير دليل ويسمى اقتصارا ؛ فلا تحرير فيه ، لأنّه لا حذف فيه بالكلية(*).[2]

يعد الحذف تحولا في التركيب اللغوي ، يثير القارئ ويحفزه نحو استحضار النص الغائب أو سد الفراغ ، كما أنّه يثري النص جمالا ويبعده عن التلقي السلبي ، فهو أسلوب يعمد إلى الإخفاء والاستبعاد بغية تعددية الدّلالة وانفتاحية الخطاب على آفاق غير محدودة ، إذ تصبح وظيفة الخطاب الإشارة وليس التحديد ، فالتحديد يحمل بدوره انغلاق النص على نفسه ،ولا يبقي للقارئ فرصة المشاركة في إنتاج معرفة جديدة بالنص ودلالاته .

وقد شاعت هذه الظاهرة في كثير من اللغات ، فالمتحدّث قد يلجأ أحيانا إلى إسقاط كلمة أو جملة أو جمل اعتمادا على قرائن سياقية أو لفظية تجعله يشعر بالاطمئنان إلاّ أن المعنى المراد قد تحقق للسامع ، وظاهرة الحذف في اللغة العربية تفوق غيرها من اللّغات لما جُبِلَت عليه اللغة العربية في خصائصها الأصلية من ميل للإيجاز بأنواعها المختلفة[3]

وقد حاول القدماء تفهّم هذا البعد ضمن إطاري الحضور والغياب ، وعمدوا إلى حصر أشكاله ؛ رغبة في تلقي النصوص القديمة على نحو لغوي لاستخلاص ما فيها من ألوان الجمال أو لرصد ما فيها من ظواهر القبح ، و بمعنى آخر كانت هذه الخاصية من أهم

---

[1] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج20 ، مرجع سابق ، ص : 39 – 40.

(*) والفرق بين الحذف و الإيجاز والإضمار ، أن شرط الحذف و الإيجاز أن يكون (في الحذف) ثمّة مقدر ، نحو "واسأل القرية" يوسف82 ، بخلاف الإيجاز ، فإنّه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمّة بنفسه ، والفرق بينه وبين الإضمار أن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ نحو قوله تعالى :"انتهوا خير لكم" النّساء 171 أي ائتوا أمرا خيرا لكم ، وهذا لا يشترط في الحذف ويدل على أنّه لابد في الإضمار من ملاحظته المقدر باب الاشتقاق ، فإنّه من أضمرت الشيء ، أخفيته وأما الحذف فمن حذفت الشيء قطعته ، وهو يشعر بالطرح بخلاف الإضمار ولهذا قالوا :"أن تنصب ظاهرة و مضمرة " ينظر: الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ج3 ،1408هـ . 1988م ، ص : 102. 103.

[2] المرجع نفسه ، ص :102.

[3] طاهر سليمان عودة ، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، ص : 09 .

مظاهر تقويم العمل الأدبي ، وتبدو مقدرة القدماء في إدراكهم أن بعض العناصر اللغوية يبرز دورها الأسلوبي بغيابها أكثر من حضورها.[1]

ومِن أهم مَنْ تنبّه إلى الأبعاد الجمالية الكامنة وراء ظاهرة الحذف عبد القاهر الجرجاني بل إنّه عد الحذف من عوامل الإجادة و الإبداع ، وهو يقول في ذلك معلقا على أبيات ذكر فيها حذفا معيّنا :" فتأمّل الآن هذه الأبيات كلّها ، وانظر إلى مواقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف ، وإذا أنت مررت بموضع الحذف منها ، ثم فليت النفس عمّا تجده ، وألطفت النظر فيما تحس به ، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر ، وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه على سمعك ، فإنك تعلم أن قلت كما قلتُ وأن رُبَّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد .[2] أي أنّ الحذف لا يعدو كونه محاولة أسلوبية منت أجل الرقي بالخطاب إلى مستوى تعبيري قادر على شد انتباه المتلقي والتأثير فيه ، أي الإقناع. فضلا عن استغلال سمات جمالية تضفي الخطاب سمات الجمال أي الإمتاع.[3]

يحقق الحذف من الإمتاع الفني الشيء الكثير بما يصنعه من فجوات دلالية تعرف في النقد الحداثي بالمسكوت عنه من القول الذي يتولى المتلقي ملأه ، إنّه يتيح بذلك عنصرا مهما في بناء القراءة باعتبارها إبداعا إضافيا ، حيث يتم إدماج المتلقي بطريقة إسقاطيه وفي ذلك إشارة جديدة إلى القيم التي تتدّعم بفعل العدول ، لأن الحذف إحدى محصّلاته ، وليس غريبا أن نجد هذه الإشادة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني وهو يتحدّث عنه :" باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة ، أزيد للإفادة ، وتجدني أنطق ما لم تكون إذا لم تنطق "[4] ثم لا يخفى على الإمام أن بعض المتلقين قد يكبر عليهم مثل هذا القول في الحذف ، لأن هناك من لديه ميل إلى الاستفاضة في الحديث ، رغبة في الإبانة ، وحرصا على التبليغ ، لأنّه رسخ في أذهانهم أن الإطناب أجدى في التوصيل ، وحتى يبدد عبد القاهر خوف أولئك من عدم قدرة الحذف على الإبلاغ "وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر ،

---

[1] محمد عبد المطلب، جدلية الإفراد والتركيب، الشركة المصرية العالمية للنشر، مصر ، ط1. 1994 م . ص: 181–182 .

[2] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، قرأه و علّق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني ، جدّة ، ط3، 1992م ص : 151.

[3] محمد خطابي ، لسانيات النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1991م ص : 95 .

[4] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق الإمام محمد رشيد رضا ، مرجع سابق ، ص : 112 .

وتدفعها حتى تنظر ، وإذا أكتب لك مبدئيا أمثلة مما عرض فيه حذف ثم أنبهك على صحة ما أشرت إليه "[1]

وقد تناول البلاغيون هذا المبحث في إطار البنية الأصلية للجملة ، وما يطرأ عليها من حذف أحد أركانها أو متعلقاتها ، بما يؤدي غرضا يسعى المتكلّم إلى تحقيقه ، ومن ذلك حذف المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه ، وإيقاع الفعل على شيئين و هو لأحدهما وإضمار فعل الآخر ، و كذا حذف الجواب لعلم المخاطب به و حذف الكلمة و الكلمتين وحذف جواب القسم اختصارا ، و حذف الحرف و الصفة و الحال و المفعول و عائد الصلة و غيرها[2]. و الحذف شامل لأبواب النحو كحذف المبتدأ ، الفاعل ، الصفة ، المنادى... و حذف الجملة و شبه الجملة و جزء من الجملة كحذف المتقايضين و الجار و المجرور و الشرط و فعله و الضمير.[3]

- **<u>الفرق بين الحذف و التقدير :</u>**

الفروق التي ذكرها العلماء بين الحذف و التقدير هي ما يأتي:

1. أنّ الحذف لا يشترط فيه بقاء اللفظ في المعنى و النية ، أما التقدير فيشترط فيه بقاء اللفظ في المعنى و النية ، و على هذا فالحذف أعم من التقدير .

2 . أنّ الحذف يمتاز بعدم بقاء اثر للمحذوف في اللفظ ، أما التقدير فيمتاز ببقاء أثر المقدّر في اللفظ.[4]

وإذا قلنا و القول"لتمام حسان ". إنّ في أسلوب القرآن حذفا ، فلسنا ننسب الحذف إلى مضمون القرآن ، و إنما ننسبه إلى تركيب اللغة ذلك بأن اللغة تجعل للجملة العربية أنماطا تركيبية معينة ، ففي الجملة أركانها و مكملاتها ، و في عناصرها ما يفتقر إلى غيره و ما يستغني المعنى عن تقديره ، فإذا لم تشتمل الجمل على أحد أركانها أو ما يقتضيه المعنى أو يقتضيه التركيب من مكملاتها و عناصرها الأخرى ، ثم اتضح المعنى بدون ذكر هذه العناصر لوجود الدليل على

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق الإمام محمد رشيد رضا ، مرجع سابق ، ص : 112 .

[2] مختار عطية ، التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية ، مرجع سابق ، ص : 76 .

[3] حسن منديل العكيلي ، الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام التركيبي النحوي البلاغي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009م ص: 105 .

[4] مصطفى شاهر خلوف، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز، دار الفكر، ط1 ،2009م ص: 34.

المحذوف عددنا ذلك حذفاً جيء به لطلب الخفة اختصارا، أو اقتصارا أو تجنبا للحشو أو لسبب آخر غير ذلك ، و كل عنصر من عناصر الجملة صالح لأن يحذف إذا قام الدليل عليه ، فأمكن تقديره في الكلام.[1]

و يلتقي موضوع الحذف هذا و ارتباطه بالسامع بمفهوم الافتراض المسبق ، الذي هو احد مجالات اللسانيات التداولية الحديثة ، و يهتم بدراسة المعارف المشتركة بين المتكلم و السامع ، أو بين ما ينبغي أن يكون معروفا أو يفترض العلم به سابقا قبل إجراء الخطاب فهو : مفهوم برجماتيكي تتضمنه العبارة في المقام الذي ترد فيه من حيث المعلومات المشتركة (المعروفة مسبقا) لدى المتكلم و المخاطب قادر على الحركة و الإجابة وأنّ المتكلم نفسه في منزلة الأمر . و قد يحسن الحذف أحيانا في الحرف أو الضمير أو الكلمة المفردة أو أحد أركان الجملة أو تكميلاتها ، كما يحذف من الكلام ما يقتضيه المعنى و إن طال الكلام المحذوف .[2]

و من فوائد الحذف "الزركشي" من التفخيم و الإعظام لما فيه من الإيهام لذهاب الذهن في كل مذهب ، وتشويقه إلى المراد فيرجع قاصرا عن إدراكه ، فعند ذلك يعظم شأنه ويعلو في النفس مكانه ، ألا ترى أنّ المحذوف إذا ظهر في اللفظ زال ما كان يختلج في الوهم من المراد و خلص للمذكور.

- **<u>نماذج تطبيقية لظاهرة الحذف في القرآن الكريم (آيات مختارة) :</u>**

يُقَسَّم الحذف من حيث الشّكل والصيغة إلى قسمين : حذف الكلمة ، وحذف الجملة [3]

<u>1. حذف الكلمة :</u> وحذف الكلمة يأتي على صور مختلفة وهي : حذف المسند إليه وحذف المسند ، وحذف القيود ، وسأتكلّم الآن على كل صورة من هذه الصور :

أ **. حذف المسند إليه :** والمسند إليه المفهوم أحد ركني الجملة القرآنية ، بل المفهوم الركن الأعظم لأنه عبارة عن الذّات وهو أنواع ومن أهم أنواعه : **المبتدأ** ، **الفاعل** .

وحذف المبتدأ قد ورد استعماله في القرآن الكريم ، وهذه بعض الشّواهد عليه :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [4]

---

[1] تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1 ، 1993م ص : 370 – 371 .

[2] خليفة بوجادي ، خصائص التركيب اللغوي في " بوابات النور للشاعر الجزائري عبد القادر بن محمد بن القاضي " دراسة في الوظيفة التداولية (دكتوراه) ، جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، 2005م /2006م ص : 100 .

[3] مصطفى شاهر خلوف ، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، مرجع سابق ، ص : 41 .

[4] البقرة : 154 .

وتقدير المحذوف : (هم) أموات ،قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [1]،أي(فهو) يؤوس.[2]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾[3]، وتقدير المحذوف (هي) مقام إبراهيم .

وأمّا **حذف الفاعل** فقد ورد استعماله في القرآن الكريم و من الشّواهد على ذلك قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ [4] يعني : (العذاب)لقوله قبله "أفبعذابنا يستعجلون"[5]

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُوا۟ بِمَا كَسَبُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

و الشاهد أنّ الفاعل الحقيقي للفعل "أُبْسِلوا" محذوف وهو(اللّه) والإسبال في الآية يعني إسلامهم للهلكة .[7] و المشهور في **حذف الفاعل** امتناعه إلاّ في ثلاثة مواضع:

أحدهما: إذا بني الفعل للمفعول ، نحو قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ [8]

ثانيهما : في المصدر ، إذا لم يقدر معه الفاعل مظهر يكون محذوفا ، ولا يكون مضمرا نحو قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ ﴾ "[9]

ثالثهما : إذا لاقى الفاعل ساكنا من كلمة أخرى كقولك للجماعة : أضربُ القوم وللمخاطبة اضربِ القوم .وجوّز الكسائي الحذف مطلقا إذا وجد ما يدل عليه و ذلك في قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَـٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [10]

وتقديرها فلما جاء الرّسول الذي دل عليه قوله :" وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ " فالإرسال

---

[1] فصلت.

[2] الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج3، مرجع سابق ص:288 .

[3] آل عمران.

[4] الصافات.

[5] الزمخشري ، محمود بن عمر ، الكشّاف ، مرجع سابق ، ص ن .

[7] الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، ج3، 1972م ص : 156 .

[9] البلد.

[10] النمل.

يقتضي رسولا ، والرسول لفظة مفردة ويصدق بالواحد والجماعة ، وأيضا فإنّ هدايا الملوك يحملها ركب ، فيجوز أن يكون الفاعل جاء الركب المعهود في إرسال هدايا أمثال الملوك[1]، وإيراد التركيب بالحذف أبلغ من الذكر ، ذلك أنّ فيه إحالة على سياق أدائه ، وكأنّ النص القرآني يعبر بالمشهد والصورة ، لا باللغة لأنّه يحيلنا على تصوّر مشهد الرسول يحمل الهدية أو تصوّر ركب يتقدّم إلى الملك سليمان محملا بالهدايا .

ويمكن القول إنّ البعد الحجاجي لهذا الحذف أنّ النص القرآني – ولا أريد أن أقول المتكلم – وإن حذف فهو يحيل سامعه إلى خطاب آخر غير خطابه المنطوق و الذي يدل عليه سياق الحال ومن ثم يفتح باب التصوّر والتّخيّل ، وليس أبلغ من هذا للتّأثير فيه و إقناعه .

ب . حذف المسند : والمسند المفهوم ما نخبر به عن الذّات أو المفهوم المحكوم به أو المخبر به ، أو ما حكمت به على شيء، وهو كالوصف للذّات وهو أيضا أنواع ، ومن أهم أنواعه:الخبر والفعل.[2]

وحذف الخبر قد ورد في القرآن الكريم ، وهذه بعض الشّواهد على ذلك:**قَالَ تَعَالَى:** ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾[3] أي (ومنها) حصيد.[4]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ﴾[5]

فإنّ التقدير: طاعة وقول معروف (أمثل) من غيرهما.[6]

و أما **حذف الفعل** فقد ورد استعماله في القرآن الكريم ومن الشواهد على ذلك: قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[7]

---

[1]محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج19، ص : 267 .

[2]مصطفى شاهر خلوف ، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، ص : 45 .

[3]هود : 100.

[4]المرجع السابق ، ص ن .

[5]محمد : 21 .

[6]أبو الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان، ج2 ، (د.ت) ، ص : 362 .

[7]سبأ : 24 .

والتقدير قل (يرزقكم) الله.[1]

جـ – حذف القيود :

والقيود هي التكملات أو المكملات أو الفضلات أو متعلقات الإسناد ، وهي أنواع كثيرة ، فكل ما سوى المسند إليه فهو قيد ، فمن القيود :المفعول به والحال ،والمضاف إليه، والصفة والمنادي والحروف كلها.

وحذف المفعول به قد ورد في القرآن الكريم في العديد من المواضع ، وهذه بعض الشواهد على ذلك :

قوله تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [2]

والتقدير : فلو شاء الله (هِدَايَتَهُمْ) لجمعهم على الهدى .

وقال تعالى : ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [3]، والتقدير : ولو شاء ربك (إِيمَانَ) من في الأرض لآمن من في الأرض كلهم جميعا .

وقال تعالى :﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ ﴿٢٩﴾﴾ [4]

فحذف المفعول فعل المشيئة لقصد البيان بعد الإبهام لأن فعل المشيئة حين ينطق به(شاء) علم أنّ شيئا تعلّقت به المشيئة لكنه منهم ، ولما جاء جواب الشرط علم ذلك الشيء وعرف أنه الإيمان في الأوّل والكفر في الثاني ، فكل من الشرط والجواب دل على المفعول ، لكن الشرط دل عليه إجمالا والجواب دل عليه تفصيلا ، والبيان بعد الإجمال أوقع في النّفس ... فكان حذف المفعول وسيلة بيان أزالت الإبهام ، فالوظيفة بيانية في المستوى التركيبي الإبلاغي.[5]

وقال تعالى : ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [6]

والعدول الوارد في هذه الآية الكريمة هو حذف مفعول (مرسلة) وقد دل عليه وصف

---

[1] الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج3 ، ص:288 .

[2] الأنعام : 35 .

[3] يونس : 99 .

[4] الكهف : 29 .

[5] عمار ساسي ، الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، دراسة نظرية تطبيقية في الآيات المحكمات ، ص : 237 .

[6] النمل : 35 .

(مرسلة) وكون التشاور فيما تضمنه كتاب " سليمان " ، فالتقدير : مرسلة إليهم كتابا ووفدا مصحوبا بهدية إذ لا بد أن يكون الوفد مصحوبا بكتاب تجيب به " بلقيس " كتاب " سليمان " ، لأن الجواب عن الكتاب عادة قديمة .[1] والانزياح الآخر الذي يمكن ملاحظته هو حذف المفعول في قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾[2] حيث حذف المفعول في قوله : " وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِه الَّذِينَ اصْطَفَى " ويمكن تخريجها على النحو التالي : " وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِه الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ " وقال ابن عباس هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واصطفاهم الله لنبيه ، هذا الانزياح المتجسد في حذف ضمير المفعول مراد ومقصود وذلك لغاية تخفيف لطول الكلام .[3]

وفي هذه الآية نتيجة أولى (معطاة – حجة) محتواة في السؤال البلاغي الموجه للقصد الإثباتي" اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ "

وأما **حذف الحال** فقد ثبت وجوده في القرآن الكريم ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[4] والتقدير : (قائلين) ربنا تقبل منا.[5] وقال تعالى : ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[6]، والتقدير (قائلين) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ، لأن دخول الملائكة على المؤمنين يوحي بأنهم سيقولون لهم هذا القول ، فلا حاجة إذن إلى ذكر الفعل الذي يدل على الحال من الملائكة تتميما للنسق الفني بالصياغة المعجزة.[7]

أما **حذف المضاف إليه** فقد ورد استعماله في القرآن الكريم وهذه بعض الشواهد على ذلك :

---

[1] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج19 ، ص :266.

[2] النّمل : 59 .

[3] محمد بن علي الشّوكاني ، فتح القدير ، الجامع بين فني الرّواية و الدّراية من علم التفسير ، مر يوسف الغوش، ج3 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، (د.ط) ،1996 م ص:157 .

[4] البقرة :127 .

[5] ابن هشام عبد اللّه ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق مازن المبارك ومحمد حمد الله ، دار الفكر ، بيروت، ط5 ، 1979 م ، ص : 830 .

[6] الرعد :23-24 .

[7] المرجع السابق ، ، ص ن .

قال تعالى : ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ [1]

والتقدير : وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ (ليال)[2]

وقال تعالى :﴿ قَالَ فَمَا خَطۡبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ٩٥ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾ [3] والتقدير من أثر (حافر فرس)الرسول.[4]

وأما **حذف الصفة** فهو مستعمل في القرآن الكريم ، زمن الشواهد على ذلك قوله تعالى:

﴿وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوۡمُكَ وَهُوَ ٱلۡحَقُّۚ قُل لَّسۡتُ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ٦٦﴾ [5]

والتقدير : وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ (المعاندون).[6]

وقال تعالى : ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ [7]، والتقدير : يَأْخُذ كُلَّ سَفِينَةٍ (صحيحة) أو (صالحة) أو (سليمة) أو نحوها غصبا ويدل على هذا المحذوف قوله (فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا)لأن الملك كان لا يأخذ السفينة المُعيبة[8].

وأمّا **حذف المنادى** فقد ورد استعماله في القرآن الكريم ومن الشواهد على ذلك :

قوله تعالى : ﴿أَلَّا يَسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ٢٥﴾ [9]، على قراءة الكسائي بالتّخفيف تكون ألاّ يا سجدوا ، "ألاّ" للتنبيه ، و"يا" حرف النّداء ، ومناداه محذوف تقديره يا هؤلاء[10].

أمّا **حذف المعطوف** فقد ورد استعماله في القرآن الكريم ومن الشّواهد على ذلك :

---

[1] الأعراف.

[2] أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط12 ،1990 م ،ص : 224

[3] طه : 95-96 .

[4] أبو الفتح عثمان ابن جني ، الخصائص ، ج2 ، ص : 362 .

[5] الأنعام : 66 .

[6] الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص : 156 .

[7] الكهف : 79 .

[8] الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، مرجع سابق ، ص ن .

[9] النّمل : 25 .

[10] الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج2، ص:361 .

قوله تعالى : ﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾[1].

في هذه الآية الكريمة انزياح عن المعهود والمتمثّل في حذف المعطوف وذلك في قوله : مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ ، بديل عن قوله تعالى : " لِنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ " وما روي أنّهم كانوا عازمين على قتله وقتل أهله وعلى هذا فقولهم :" وَإِنَّا لَصَادِقُونَ" كذب في الأخبار .

وأوهموا قومهم أنّهم قتلوهم وأهله سرا ولم يشعر بهم أحدا ، وقالوا تلك المقالة يوهمون أنّهم صادقون وهم كاذبون ، فيحتمل أن يكون من حذف المعطوف عليه ، أي ما شهدنا مهلكه ومهلك أهله[2].

وأمّا **حذف الحروف** فقد ورد استعماله في القرآن الكريم ، وهذه بعض الشّواهد على ذلك :

قال تعالى : ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[3]، والتقدير (يا) يوسف ، أعرض عن هذا ، حيث أنّه قد حذف حرف النّداء[4].

وقال تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا ﴿١٥٥﴾ ﴾[5]، أي و اختار موسى (من) قومه فقد حذف حروف الجر[6].

وقال تعالى : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾[7]، والتقدير : يبيّن الله لكم لأن (لا تضلوا)[8].

---

[1] النمل.

[2] الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص : 157 .

[3] يوسف .

[4] ابن هشام عبد اللّه ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص : 840 .

[5] الأعراف.

[6] المبرّد ، محمد بن يزيد الأزدي أبو العبّاس ، الكامل في اللغة والأدب والنّحو والتّصريف ، تحقيق زكي مبارك وأحمد محمّد شاكر البابي الحلبي ، مصر ، ط1 ، ج1، 1963 م ص : 32 .

[7] النساء.

[8] المرجع السابق ، ص ن .

2 . حذف الجملة :

وحذف الجملة له صور مختلفة وهذه الصّور هي : حذف الشّرط ، وحذف جوابه ، وحذف القسم ، وحذف جوابه ، وحذف الاستفهام ، وحذف جوابه ، و حذوف عامة[1].

أ – حذف الشّرط : وجملة الشرط هي إحدى ركني العبارة الشّرطية ، ولقد ورد حذفها في القرآن الكريم ، ومن الشّواهد على ذلك :

قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[2]، تقديره (فإن اتّبعتموني) يحببكم الله.[3]

وقوله تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[4]، والتقدير (فلو كان معه إله) إذا لذهب كل إله بما خلق .[5]

ب – حذف جوابه : وجملة جواب الشّرط هي الرّكن الثاني للعبارة الشّرطية ، وقد ورد الكتاب العزيز حذفها في العديد من المواضع وهذه بعض الشّواهد على ذلك :

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾[6].

فجواب الشرط محذوف تقديره (لا تتبعوهم).[7]

وقال تعالى : ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[8]

فجواب الشرط محذوف وتقديره : (فافعل) أو (ما آمنوا)[9].

---

[1] مصطفى شاهر خلوف ، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، ص : 51 .

[2] آل عمران .

[3] أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص :225 .

[4] المؤمنون.

[5] عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، دار النّهضة العربية ، بيروت ، ط2 ، 1970 م ، ص : 105

[6] البقرة .

[7] الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله ، البرهان في علوم القرآن ، ج3، 1972م ص : 186 .

[8] الأنعام.

[9] ابن هشام عبد اللّه ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص: 849 .

جـ – حذف القسم : إنّ جملة القسم هي إحدى ركني العبارة القسمية ، ولقد ورد حذفها في القرآن العظيم ، ومن الشواهد على ذلك :[1]

قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٧﴾ [2]، وتقديره (والله) لنكفرن عنهم سيئاتهم.[3]

وقوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ٩﴾ [4]، تقديره : (والله) لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الْصَّالِحِينَ .[5]

د– حذف جوابه : وجملة جواب القسم هي الركن الثاني للعبارة القسمية ، وقد ورد في القرآن الكريم حذفها في كثير من المواضع وهذه بعض الشواهد على ذلك :

قال تعالى : ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤﴾ [6]، فجواب القسم ها هنا محذوف تقديره (إنّ كفار مكة ملعونون كما لُعِنَ أصحاب الأخدود) ويدل عليه قوله : " قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ " أو يكون تقديره : (أنّ الأمر حق في الجزاء) أو لتبعثنّ .[7]

وقوله تعالى : ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾[8]

فجواب القسم ها هنا محذوف وتقديره : (لَتُبْعَثَنَّ أَوْ لَتُحْشَرَنَّ أَوْ لَتُحَاسَبَنَّ) ويدل على ذلك ما أتى بعده من ذكر القيامة في قوله : " تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ " وكذلك إلى آخر السورة .[9]

---

[1] مصطفى شاهر خلوف ، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، ص : 52 .

[2] العنكبوت.

[3] عز الدّين ، عبد العزيز عبد السلام بن أبي القاسم أبو أحمد ،الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز ، دار الطباعة العامرة ،1313 هـ ، ص : 14 .

[4] العنكبوت .

[5] المرجع السابق ، ص ن.

[6] البروج.

[7] الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج4 ، ص : 237 .

[8] النازعات.

[9] ابن هشام عبد اللّه ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، ص : 847

هـ – حذف الاستفهام : إنّ جملة الاستفهام هي الرّكن الأوّل من ركني العبارة الاستفهامية ، ولقد ورد حذفها في القرآن الكريم ومن الشواهد على ذلك :[1]

قوله تعالى : ﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ ﴾[2]؛ كأنهم قالوا : فماذا يكون إذا عملنا نحن على مكانتنا ، وعملت أنت ؟ فقال : سوف تعلمون ما يكون .[3]

و– حذف جوابه : إنّ جملة جواب الاستفهام هي الرّكن الثاني للعبارة الاستفهامية وقد ورد في القرآن الكريم حذفها في كثير من المواضع [4] ، وهذه بعض الشواهد على ذلك :

قال تعالى :﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[5]

فجواب الاستفهام محذوف تقديره :(إنّه لم يفعل هذا لتعاليه عن الوالد مطلقا)[6]

وقال تعالى :﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[7]

فجواب الاستفهام بهذه الآية محذوف تقديره : (إِنَّمَا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ اللَّهُ لاَ أَنْتَ).[8]

وقد يكون المحذوف أكثر من جملة وذلك في قوله تعالى : ﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[9] إلى غاية قوله جلا وعلا : ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ ﴾[10]، والتقدير : فذهب الهدهد إلى سبأ فرمى بالكتاب فأبلغ الكتاب إلى الملكة وهي في مجلس ملكها فقرأته

---

[1] مصطفى شاهر خلوف ، أسلوب الحذف في القرآن الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، ص : 63 – 64 .

[2] هود.

[3] ابن الأثير ضياء الدين أبو الفتح ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر ، تحقيق أحمد وبدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ط1 ، ج2 ،1959 م ص :282 .

[4] المرجع نفسه ، ص ن .

[5] الإسراء.

[6] عبد العزيز عتيق ، علم المعاني ، ص : 105 .

[7] الزخرف.

[8] المرجع السابق ، ص : 113 .

[9] النمل.

[10] النمل.

قالت : يا أيّها الملأ ... وجملة " قالت " مستأنفة استئنافا بيانيا لأن غرابة القصة إلقاء الكتاب عليها يثير سؤالا عن شأنها حين بلغها الكتاب[1].

والأمر نفسه في قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴿٤٠﴾﴾ [2] إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا ﴿٤١﴾﴾ [3]

ثالثا : الالتفات :

لعل الأصمعي (214 هـ) أول من ذكر الالتفات " فقد حكي عن إسحاق الموصلي أنّه قال قال لي الأصمعي : أتعرف التفات جرير ؟ قلت : ما هو ؟ فأنشدني قوله :

أتنسى إذ تودعنا سلمى بعود بشامة ؟ سقى البشام .

ثم قال : أما تراه مقبلا على شعره ، إذ التفت إلى البشام فذكره فدعاله " [4]

ويورد يحي بن معطي [*] في منظومته البديعية :

والالتفات هو اعتراض مجمل فيه لحسان جمال المحمل

إنّ التي أعطيتني فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

ثم يعلق مراجع هذه المنظومة بقوله : " والشاهد في هذا البيت بينما حسان في كلام الغيبة بقوله : (إنّ التي ناولتني فرددتها ... قتلت) إذا به يعدل عنه إلى كلام الخطاب دون أن يتم غرضه الأول فيقول : (قتلت) ثم عاد إليه بقوله : (فهاتها لم تقتل) فيكون فيما عدل إليه مبالغة في الأول ، وزيادة في حسنه . [5]

---

[1] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج19، ص : 258 .

[2] النمل .

[3] النمل .

[4] أبو الهلال العسكري ، الصناعتين ، تح علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (د.ط) 1986 م ص : 392 .

* هو أبو الحسن زين الدين بن معطي ابن عبد النور زواوي الحنفي النّحوي المولود بالمغرب سنة 564 هـ ، تقول تراجمه أنه – إمام فاضل مبرز عالم بالعربية والأدب ، شاعر محسن واسع الشهرة في المغرب والمشرق ، نسبته إلى قبيلة زواوة بظاهر بجاية في إفريقيا – منت مؤلفاته : العقود والقوانين ، الفصول الخمسون ، شرح أبيات سيبويه ...

[5] يحي بن معطي ، البديع في علم البديع ، مراجعة مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعارف الجامعية (د.ط)، 1996م ص : 108 .

يعد الالتفات[*] (ومعه كثير من الألوان البلاغية من الظواهر التعبيرية التي يعنى علم الأسلوب برصدها وتحليلها في لغة الأدب ، والواقع أنّ ميدان هذا العلم الناشئ في أحضان علم اللغة الحديث يتداخل (ولا أقول يتطابق) تدخلا بيّنا مع ميدان علم البلاغة العربية في صيغته التي استقرت منذ بضع مئات من الأعوام ... وقد أشرت إلى ذلك سابقا وهو تداخل لا يرتد إلى علاقة تأثير وتأثر بين العلمين ، بل إلى تلاقيهما من حيث التوجه أو الغاية ، إذ إنّ وظيفة كليما هي : التقاط التنبؤات أو التحولات التعبيرية في لغة الأدب عن شحناتها التأثيرية أو الدلالية . [1]

ويقول الزمخشري مبينا إجرائية ظاهرة الالتفات والغايات الجمالية المرجوة منها ، بعد تعريفها مستخدما مصطلح العدول ذاتها كآلية لغوية " وهو – أي الالتفات – فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع ، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما : إنّ فلانا من قصته كيت وكيت ، قصصت عليه ما فرط منه ، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت : يا فلان من حقك أن تلتزم الطريقة الحميدة في مجاري أمورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك . نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه ، واستدعيت أصفائهم إلى إرشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة ها زامن طبعهما لا يجده إذا استمرت على لفظ الغيبة ، وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف ، يستفتح الآذان للاستماع ، ويستهش الأنفس للقبول " .[2]

ظل الزمخشري معجبا بهذا الأسلوب البلاغي الذي يقف عنده متمليا كاشفا أبعاده كقيمة إجرائية تستهدف معاني محدّدة بأسلوب خاص ، من ذلك وقفته مع الآية الكريمة قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[3]

(*)لفت الشيء بفتح الفاء ، لواه على وجهه ، فلانا على الشيء صرفه ، ورداؤه على عنقه : عطفه ، والكلام صرفه إلى العجمة واللحاء عن الشجر : قشره ، والريس عن السهم : وضعه غير ملائم كيف اتفق ... ينظر ابن منظور مادة (ل.ف.ق) والملاحظ هنا أنّ المادة اللغوية أو المعجمية للالتفات تدور في عمومها حول محور دلالي واحد هو التحور ، الانحراف ، الانزياح ، عن المألوف من القيم والأوضاع أو أنماط السلوك .

[1] حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ط) 1998م ص 33 .

[2] عمر الملاحويش ، أثر البلاغة في تفسير الزمخشري ، مطبعة دار البصري ، بغداد ، (د.ط) ، 1970 م ص : 179 – 180 .

[3] الأعراف.

يقول : "وإن قلت هلاّ قيل : فآمنوا بالله وبي ، بعد قوله : إنّي رسول الله إليكم ، قلت : عدل عن المضمر إلى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي أجرت عليه ، ولِما في طريقة الالتفات من مزية بلاغية ، وليعلم أنّ الذي وجب الإيمان به وإتباعه هو هذا الشّخص.
المستقل بأنّه النبيّ الأميّ الذي يؤمن باللّه وكلماته ،كائنا من كان أن أم غيري إظهارا للنّصفة وتفاديا من العصبية لنفسه .[1]

كما يعد الالتفات سمة أسلوبية تعين على تحوّلات مختلفة في الخطاب ، كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو العكس ، أو التّحوّل في الأزمنة من الفعل المضارع إلى الأمر ، أو العكس أو العدول عن فعل ماض إلى أمر ،أو الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل ، أو العكس ولا تفخم هذه التحولات إلاّ في ضوء السياق اللغوي الذي يرجع إليه وحده لتحديد طبيعة المعنى المراد ، إذ إنّ المعنى قد يتجاوز الكلام المرسوم أما القارئ إلى آخر يُفهَم ضمنا ، وهو معنى يتجدد بالقوة الكلامية وذلك بتعبير جون لاينز .[2]

وقد تحدّث أحمد مطلوب عن اهتمام العرب بالالتفات قائلا : "وتلك على عادة افتتانهم في الكلام تصرّفهم فيه ، ولأنّ الكلام إذا نُقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السّامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحدٍ ، وقد تختص مواقعه بفوائده "[3].

وقد نظر عز الدّين إسماعيل إلى الالتفات نظرة ثاقبة ، إذ لم يعد الالتفات عنده حيلة من حيل جذب اهتمام المتلقي و تشويقه ، لأنّ ما يحدث فيه من انحراف للنّسق أو انتقال في وقد نظر عز الدّين إسماعيل إلى الالتفات نظرة ثاقبة ، إذ لم يعد الالتفات عنده حيلة من حيل جذب اهتمام المتلقي و تشويقه ، لأنّ ما يحدث فيه من انحراف للنّسق أو انتقال في الإيراد الكلامي من صيغة ليس انتقالا استطراديا مثلا ، أو تعليقا طريفا على ما قيل أو ما حدث ، وليس استشهادا بطرفة ، أو ما شابه به ذلك من وسائل تسلية نفس المتلقي والتّرويح عنه، وإنّما ينحصر الأمر في بيان معنى على قدر كبير من الرّهافة والخفاء، ولا يلتفت المتلقي إليه أو إلى البحث عنه إلاّ إدراكه للتّغيّر الحادث في النّسق اللغوي

---

[1] الزمخشري ، الكشاف ج2 ص: 98 .

[2] جون لاينز ، اللغة والمعنى و السياق ، تر : عباس صادق الوهاب ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 1987م ص : 226 .

[3] أحمد مطلوب ، معجم النّقد العربي القديم ، دار الشّؤون الثّقافية ، بغداد ، ط1 ، ج1 ،1989 م ص:223 .

للخطاب، وينتبه القارئ إلى هذا التّغيّر ، ودون ذلك الإدراك يظل ذلك المعنى مختفيا وغائبا.[1]
وبمثل هذا الفهم يصبح الأسلوب الالتفاتي وسيلة لإغناء النّص دلاليا وجماليا في آن واحدٍ،فقد تم استعباد فكرتي الإمتاع والتّشويق اللّتين تشعران بنمطية الأسلوب وآلية التّفسير مع أنّ القصد منه إعطاء حيوية للنّص.

لقد كان ابن الأثير متقدّما جدا في بحث ظاهرة الالتفات في علاقتها بالطّرح الفنّي حيث : " فهم الشّعرية على أنّها لا ترتبط بالأمور التّقريرية الواضحة ، ولكنّها ترتبط بأمور كالتّعظيم والتّفخيم التي لا تعرف لها مقاييس تحدّها ولكنّها تذهب بالسّامع كل مذهب [2] وليس الالتفات إلاّ حقيقة إجرائيّة في بناء الأساليب ، تتأسس على عنصر المباغتة بما يستدعي انتباها خاصا لأنّها تذهب بالسّامع مع كل مذهب ، حين يأخذ الحديث مسارب متنوّعة لقاء العدول عن المعتاد لصالح استخدامات خاصة قائمة على هذا النّوع من الصّياغة : "المأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه و شماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا وكذلك يكون هذا النّوع من الكلام خاصّة ، لأنّه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة كالانتقالات من خطاب حاضر إلى غائب ، أو من خطاب غائب إلى حاضر ، أو من فعل ماض إلى مستقبل ، أو من مستقبل إلى ماض أو غير ذلك مما يأتي ذكره مفصّلا"[3].

وأسلوب الالتفات هو أحد المسالك التّعبيرية أو الألوان البلاغية التي بشيع في استخدامها في لغة القرآن الكريم ، بل لعلّه أكثر هذه الألوان تردّدا وأوسعها انتشارا وأورد الإشارة هنا إلى أنّ هذا الأسلوب لا ينحصر كما حصره كثير من البلاغيين في التّحوّل من ضمير إلى ضمير ، بل إنّ مفهوم الالتفات على هذا النّحو هو ما عناه بعض البلاغيين بنقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى مطلقا أو كما أورده الزّركشي : "هو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية و استدرارا للسامع ، وتحديدا لنشاطه ، وصيانة لخاطره من الملل والضّجر ، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه "[4].

وعليه ومن هذا المنطلق لا يبدوا أثر الالتفات إلاّ في السّامع ، حيث يدرك انتقال الخطاب من أسلوب إلى آخر و من حال إلى حال ، لذلك فهو مرتبط به ، لأنّه يحفل بكثير من القيم التّداولية لما له من أثر في السّامع ، إذ يأخذ به من نشاط إلى آخر و من وضع مجدّدا في أحوال تلقيه له . وقد قسّم "تمام

---

[1] عز الدّين إسماعيل ، بحث ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النّقدي (جماليات الالتفات) ، النّادي الأدبي الثّقافي جدّة (د.ط) 1990 م ص: 905 .

[2] علي مهدي زيتون ،إعجاز القرآن وأثره في تطوّر النّقد الأدبي ، دار المشرق ، بيروت ، (د.ط) 1992 م ص:401.

[3] ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشّاعر ، ج1 ، ص : 47 .

[4] الزّركشي ، محمد بدر الدّين ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص : 314 .

حسّان" الالتفات إلى ثلاثة أقسام : إمّا نحوي خالص ، وإمّا دلالي خالص و إمّا نحوي دلالي ؛ ومعنى أنّه دلالي خالص أنّ العنصر النّحوي الذي من شأنه أن يكون محل الالتفات يبقى على صورته فلا يتغيّر من صورته شيء ، ولكن دلالته عند إيراده ثانيا تختلف عنها عند إيراده . و هذا قليل الورود في القرآن الكريم . و من ذلك مثلا :

قوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ [1]

فالضمير في أتاكم لم يتحول عن صورته التي في " كاتبوهم " لأنه في الحلتين ضمير المخاطبين و لكن الأمر بالمكاتبة لمن يملكون رقاب هؤلاء الأرقاء أمّا الأمر بالإيتاء فهو لعامة المسلمين الذين طلب منهم أن يعينوا هؤلاء الأرقاء على الوفاء بالمال الذي كوتبوا عليه. فدلالة الضمير فالحالة الثانية غير دلالته في الحالة الأولى و الصورة النحوية واحدة لم تختلف ؛ أي أنّ الالتفات هنا دلالي لا نحوي . [2] فإذا تغيرت الدلالة و صورة الضمير كلتاهما كان الالتفات دلاليا و نحويا في آن واحد كما في قوله تعالى:

﴿ كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [3]

الملاحظ هنا هو وجود الفرق بين ضميري الخطاب في " إليك" و"اتبعوا" ، فالأول للنبي /ص/ ، والثاني لعامت المؤمنين ، فاختلاف الضميرين دلاليا بذلك و نحويا بالفرق بين الإفراد و الجمع و هذا النوع من الالتفات يمكن التطرق إليه تحت ما يسمى بالالتفات في العدد.

فإذا بقى المدلول في بؤرة القصد و اختلفت صورة الضمير كان الالتفات نحويا فقط وهذا كثير شائع في الأسلوب القرآني كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [4]

و إذا قارنا بين " قبلهم"و "لكم " نجد اختلافا في الضمير و اتفاقا في القصد، لان المقصود في الحالتين

---

[1] النور .

[2] تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، ص : 369 – 370 .

[3] الأعراف .

[4] الأنعام.

كفار مكة ،و من ثم كان الانزياح نحويا فقط .[1]

و أبرز مجالات الالتفات في القرآن الكريم – فيما نرى – هي : **الضمائر ، الصيغ ، العدد...**[2]

- **<u>نماذج تطبيقية لظاهرة الالتفات في القرآن الكريم (آيات مختارة):</u>**

1. الضمائر :

أ- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :

يعد نقل التركيب من الغيبة إلى الخطاب ، استحضارا للتواصل الحي ؛ بحيث يتوخ المتكلم أن يتجه بشكل مباشر بخطابه إلى السامع ،ولذلك يعدل عن الغيبة إلى الحضور نحو قوله تعالى : ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [3]

تندرج الآية الكريمة ضمن الحجة الثانية " قصة سليمان " (من الآية 15 إلى الآية 46) و هي عبارة عن نص سردي يخدم القضية "أ" لها طابع ايجابي . و قد قرأ الجمهور "يُخفون... يُعلنون" بياء الغيبة ، و قرأه الكسائي و حفص عن عاصم بتاء الخطاب في " تخفون ... تعلنون " و عليه يمكن القول إنّ النسق الكريم عدل من الغيبة في "يسجدوا" إلى الخطاب في " تخفون ...تعلنون " و طريقة الخطاب هي الطريقة الأكثر مباشرة في الإبلاغ ، و تلك هي القيمة الحجاجية لهذا الالتفات [4]

و في مثال آخر لهذا النوع من الالتفات قوله تعالى : ﴿وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [5] الالتفات الحاصل في الآية الكريمة هو التفات من الغيبة في قوله تعالى :" فكبت وجوههم" إلى الخطاب في قوله :" كنتم تعملون" [6]

---

[1] تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني ، ص :372.

[2] حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص : 55 .

[3] النّمل .

[4] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج20، ص : 11.

[5] النّمل .

[6] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، مرجع سابق ، ص ن .

وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ (1)

ففي صورة الفاتحة صرف الكلام عن الغيبة : " إياه نعبد و إياه نستعين" التي كان من المتوقّع أن يجري عليها السّياق إلى الخطاب " إِيَّاكَ نَعْبُدُ"(4)[2].

وقال تعالى :﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩﴾ [3]

في سورة مريم لم يقل قد جاءوا وصرفها إلى لقد جئتم .[4]

وقوله : ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩﴾ [5]

و في سورة الدّخان ورد الأمر بالتّنكيل بالمجرم في أسلوب الغيبة إبعادا له ، ثم التفت الخطاب إليه " ذق إنّك أنت العزيز الكريم " وهذا ابلغ في التقريع ، وأشد إيلاما و أوغل إيجاعا .[6]

ب – الالتفات من الغيبة إلى التكلم :

قال تعالى : ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ۝٦٠﴾ [7]

ونون الجمع في"أنبتنا" التفات من الغيبة إلى الحضور و من لطائفه هنا التّنصيص على أنّ المقصود إسناد الإنبات إليه عزّ وجلّ لئلا ينصرف ضمير الغائب إلى الماء لأنّ التذكير بالمنبت الحقيقي الّذي خلق الأسباب أليق بمقام التّوبيخ على عدم رعايته نعمه .[8]

---

[1] الفاتحة .

[2] مصطفى شريقن ، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم و أسراره ، دار الخلدونية ، الجزائر ، (د.ط) ، 1430 هـ – 2009 م ، ص : 192.

[3] مريم .

[4] المرجع السابق ، ص : 193 – 195 .

[5] الدّخان .

[6] مصطفى شريقن ، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم و أسراره ، مرجع سابق ، ص :195 .

[7] النّمل .

[8] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج20، ص : 11.

وعليه فهذا الالتفات في هذه الآية جاء لغرض دلالي ،ويندرج ضمن المقطع الأخير من الآية 61 إلى 93 ،والّذي يعدّ بمثابة النّتيجة وهي مبنيّة بناء حجاجيا تمت الاستعانة فيه بالاستفهام لما لهذا الأخير من تأثير خاص ومباشر.

وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٥٧ ﴾ [1]

حيث وردت سقناه بدلا من ساقه وأنزلنا بدلا من أنزل.[2]

جـ – الالتفات من التكلم إلى الغيبة :

قال تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨٤ ﴾ [3]

ما يمكن ملاحظته هنا عدول النسق القرآني من ضمير المتكلم الموجود في "نحشر" إلى ضمير الغيبة في "قال" ،ووجه هذا النوع من الالتفات أن يفهم السّامع أنّ هذا نمط المتكلّم وقصده من السّماح ،حضر أو غاب وأنّه في كلامه ليس ممن يتولون ويتوجه ، فيكون في المضمر و نحوه ذا لونين ، وأراد بالانتقال إلى الغيبة الإبقاء على المخاطب فالغيبة أروح له و أبقى على ما وجهه أن يفوت.[4]

د – الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

في هذا النوع من الالتفات يتم الانتقال من الخطاب إلى الغيبة و قد ورد ذكر هذا الالتفات لدى "ابن الأثير"،و سماه الإخبار بالماضي عن المستقبل و هو أبلغ و أوكد في تحقيق الفعل ،و يكتسي هذا البعد الحجاجي ،حين يرغب المتكلم في إثبات ما يذكره وتحقيقه بل إنّه ينطلق به في صورته الثّابتة المتحقّقة ،و لن يتأثّر له ذلك بغير الماضي [5] نحو :قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٨٤ ﴾ [6]. والالتفات الواقع هنا هو: من الخطاب في قوله: "أكذّبتم بآياتي و لم تحيطوا بها" إلى الغيبة "و وقع القول عليهم"

---

[1] الأعراف .

[2] مصطفى شريقن ، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم و أسراره ، ص : 185.

[3] النّمل .

[4] الزّركشي ، محمد بدر الدّين ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص : 316 – 317 .

[5] خليفة بوجادي ، خصائص التركيب اللغوي ، ص : 100 .

[6] النمل .

هـ – الالتفات من التكلّم إلى الخطاب : شاهده قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [1] التفت إلى "ترجعون" بدلا من "و إليه أرجع" المتوقعة. يقول الزمخشري في هذه الآية وضع قوله تعالى :" ومالي لا أعبد الّذي فطرني " مكان قوله :"و مالكم لا تعبدون الذّي فطركم" ألا ترى إلى قوله "إليه ترجعون"[2]

و– الالتفات من الخطاب إلى التكلم:

قال تعالى :﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ ﴿٤٠﴾﴾ [3]

أعرض السياق عن الخطاب معك إلى التكلم معنا.[4]

2– الصيغ:

يتحقق الالتفات في هذا المجال كلّما تخالفت صيغتان في (نسق واحد) من مادة معجمية واحدة من ذلك مثلا : المخالفة بين صيغ الأفعال (الماضي،المضارع،الأمر) أو بين صيغتي نوع واحد أو بين صيغ الأسماء أو بين صيغة من صيغ الاسم و أخرى من صيغ الفعل ،أو ما إذا ذلك مما لا يتمثل في اللّغة الفنيّة عامة ، وفي لغة القرآن خاصة إلا لمرامي و أسرار بيانية يفقدها السّياق لو لم تكن تلك المخالفة.[5]

أ – من الماضي إلى المستقبل:

قال تعالى :﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [6].

تشير الآية إلى شيء من أشراط حلول الوعيد الّذي أخبروا به وهو الوعيد الأكبر يعني وعيد البعث فتشير إلى شيء من أشراط السّاعة و هو زمن خوارق العادات، و التعبير عن وقوعه بصيغة الماضي لتقريب زمن العال من الماضي أي أشرف وقوعه على أن فعل الماضي فجعل ذلك إلجاءا لهم حين لا ينفعهم.[7]

---

[1] يس.

[2] مصطفى شريقن ، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم و أسراره ، ص : 158 .

[3] التّوبة .

[4] مصطفى شريقن ، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم و أسراره ، مرجع سرايق ، ص : 170 .

[5] حسن طبل ، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ، ص : 56.

[6] النّمل .

[7] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج19، ص :38 – 39.

وقال تعالى: ﴿ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [1].

والتعبير بفعل الماضي "وقع" على هذا الوجه لأنّه محقّق الحصول في المستقبل فجعل لأنّه حصل ومضى ،و جملة "فهم لا ينطقون" مفرعة على "وقع القول"جاءت بصيغة المستقبل، وعليه نستطيع القول إنّ الالتفات الحاصل في هذه الآية بين صيغة "وقع" الماضي إلى "ينطقون" في المضارع إنّما جاء لذلك لتأكيد المنع المطلق والتّام عن الكلام سواء بالاعتذار أو الإنكار والنّكتة في هذا العدول هي النّفي المطلق لكل أنواع الكلام.[2]

ب – من المستقبل إلى الماضي :

وقد يعدل السّياق الكريم من صيغة "يفعل" لتحقيق مزية بلاغية و ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [3]

جيء بصيغة الماضي في قوله "ففزع" مع أنّ النّفخ مستقبل للإشعار بتحقيق الفزع،وأنّه واقع لا محالة ،لأنّ الماضي يستلزم التّحقق فصيغة الماضي كناية عن التّحقق وقرينته الاستقبال ظاهرة من المضارع في قوله "ينفخ"،و كان مقتضى الظاهر أن يكون القول "فيفزع" لأنّ الحدث لم يحدث بعد [4].

جـ – من الماضي إلى الأمر:

و شاهده قوله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ ﴿٢٩﴾ ﴾ [5] ورود الآية بهذا الأسلوب : عطف الأمر على الماضي في الظاهر حمل أهل اللّغة و التّفسير على التّخريج و التّأويل و هو ما يحمل على الوقوف حتما، فتحظى الآية بمزيد تأمل .

فمن قائل إنّ العطف في الآية ليس من قبيل عطف الإنشاء(أمر...أقيموا) و لكنّ من عطف الإنشاء على الإنشاء و التقدير "قل أمر ربّي...و قل أقيموا "[6]

---

[1] النمل .

[2] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير، مرجع سابق ، ص : 40 .

[3] النّمل .

[4] طالب محمد إسماعيل الزّويعي ، من أساليب التعبير القرآني ، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني ، دار النّهضة العربية للطّباعة و النشر، إصدارات الجوهر ، بيروت ، ط1 ، 1996 م ، ص : 151 – 152.

[5] الأعراف.

[6] مصطفى شريقن ، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم و أسراره ، ص :253 .

د – من المضارع إلى الأمر : و هذا النّوع نادر جدّا و شاهده قوله عزّ وجلّ: ﴿وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ ﴿٧٢﴾﴾[1].انتقل من لنسلم إلى أن أقيموا هذه الآية شبيهة بآية الأعراف السّابقة " قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالقِسْطِ وَأَقِيمُوا " فالأمر هنا عام حتّى كأن كل أمر غرضه الإسلام لربّ العالمين فكلّ الأوامر مفضية إليه لا تحيد.[2]

و قد يكون التفات في البناء النّحوي و نعني به التّحول أو الانكسار في نسق المكونات النّحوية للتّعبير،و مثال ذلك قوله تعالى :﴿قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾[3]

الملاحظ في هذه الآية الكريمة عدول النسق القرآني من الجملة الاسمية أم كنت من الكاذبين .

وقوله تعالى:﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾[4]

في الآيتين الكريمتين انزياح حيث عدل النّسق القرآني من الجملة الفعلية "إنّك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصّم " إلى الجملة الاسمية "و ما أنت بهادي العمي" و قد عدل في هذه الجملة عن صيغتي النفي السّابقتين في قوله :"إنّك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصّم الدّعاء"الواقعين على مسندين فعلين،التي تسلّط النّفي هنا على جملة اسمية للدّلالة على ثبات النّفي وأكّد ذلك الثّبات بالياء المزيدة لتأكيد النّفي.[5]

3– العدد:

يحفل القرآن الكريم بالعديد من مواطن الالتفات في مجال (الأفراد،التثنية،الجمع).

أ – بين الإفراد و الجمع: قال تعالى:﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾[6].صاحب الضّرورة زائد حالة البؤس لأنّ هناك من لم يمسه ضرر أو بؤس فهو من الأغنياء وعليه جاء بالأفراد أمّا الانتفاع يشمل كل النّاس و ذلك من خلال الانتفاع بنعم الله من ثمّ جاء النّسق القرآني بصيغة الجمع.

---

[1] الأنعام .

[2] المرجع السابق ، ص : 256 – 257 .

[3] النّمل.

[4] النّمل .

[5] محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 20، ص :37 .

[6] النّمل .

و من هذا الباب قوله عزّ و جلّ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [1]

حيث التفت السّياق من المفرد في قوله :"الذّي استوقد" و في "ما حوله" إلى الجمع "بنورهم"[2]

ب- الانتقال من المفرد إلى الجمع:

و من شواهده قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴿٥﴾﴾ [3] بدلا أطفالا. فسّر ذلك بأنّه قد يستعمل لفظ المفرد في معنى الجمع، فطفلا مراعاة لخصائص الطّفولة التي يحيط بها الضعف من كل جانب و لهذا جاء بعدها ﴿ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ﴿٥﴾﴾ [4]

جـ - الانتقال من المثنى إلى الجمع:

قال تعالى : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ﴿١٩﴾﴾ [5]

إنّ الالتفات في هذه الآية وقع في محلّه اللاّئق-يقينا-لأداء وظيفته البيانية ، لأنّه لا يعقل أن يحلّ الجمع محلّ التّثنية من غير ضوابط تصون القواعد و ترشد المعنى حتّى لا تضطرب المقاييس و تهدر القيم اللّغوية "[6]

و قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [7].يعود ضمير "يختصمون" الجمع إلى المثنى وهو "فريقان" باعتبار استمال الفريقين على عدد كثير والفريقان هما : فريق الّذين استكبروا و فريق الّذين استضعفوا وفيهم صالحا.[8]

هذا العدول في العدد من التّثنية إلى الجمع إنّما جاء لأداء دلالة استمال الفريقين على عدد كثير.

---

(1) البقرة .

(2) مصطفى شريقن ، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم و أسراره ، ص : 210 .

(3) الحج .

(4) الحج .

(5) الحج .

(6) مصطفى شريقن ، أسلوب الالتفات في القرآن الكريم و أسراره ، ص : 224 .

(7) النّمل.

(8) محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 19، ص :278 .

د- الالتفات من الجمع إلى المثنى:

ومن شواهده قوله تعالى : ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ﴾ [1]

يحمل الخطاب في سورة الرحمان " سنفرغ لكم أيّه الثّقلان ". فتثنية للصنفين: الإنس والجن للأفراد منها.

هـ - الانتقال من التثنية إلى الأفراد :

و من شواهده قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴿٣٤﴾﴾ [2]

التفت الأسلوب عن " ينفقونهما " إلى "ينفقونها " أي الفضة ، ولا يعني أنّ الذّهب لا تشمله الآية ؛ إنّما خُصّت الفضّة و أكّد عليها ربما لأنها هي الأكثر تداولا.[3]

و . الانتقال من الإفراد إلى التثنية :

و من شواهده قوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [4]

و وردت مفردة ﴿ قَالَ فَٱهۡبِطۡ مِنۡهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخۡرُجۡ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [5] وهي صريحة في إبليس .

فالزمخشري يرى في " اهبطوا" انه خطاب لآدم و حواء خاصة و عبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذريتهما.[6]

تأسيسا على ما تقدم يمكن القول إنّ للظواهر التركيبية من تقديم و تأخير و حذف مكانا في القرآن الكريم بشكل كبير لأنها تعتبر خرق للمعهود و كسر لنمطية المألوف وذلك بكسر القواعد النحوية الروتينية المفروضة و فتح باب الإبداع ليفتح هو الآخر مجال التأويل و يتجاوز الحدود المعرفة .

بالإضافة إلى ذلك فان الالتفات في الضمائر من أهم الأساليب التعبيرية في القرآن الكريم ويحفل هو الآخر بكثير من القيم التداولية لما له من أثر في السامع، كما له الأثر في المعنى.

---

(1)الرّحمن .

(2)التّوبة .

(3)محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 19،ص :220 .

(4)طه .

(5)الأعراف.

(6)الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج1 ، ص : 274.

الفصل الثاني

العدول الدلالي وعلمي البيان والبديع

1/ علم البيان :

أوّلا :المجاز.

ثانيا :الاستعارة.

ثالثا : التشبيه.

رابعا : الكناية.

2/ علم البديع :

أولا : الجناس.

ثانيا : التّورية.

ثالثا : التّجريد.

توقف البلاغيون أمام موضوعات البيان وقفات عقلية يشرحون وفق اجتهادهم سر الجمال فيها ، التشبيه جماله في التقريب والتوضيح والتفسير ، أما الاستعارة فهي للتأثير، وعن الكناية قالوا : أنّ جمالها أنّها تجيء بالحجة ومعها دليلها وهكذا لم ير البلاغيون تأثيرا نفسيا إلاّ للاستعارة أما جمال التشبيه والكناية عندهم فعقلي منطقي[1].

والبيان هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة للتشبيه واستعارة ومجاز مرسل وكناية ، وموضوعه هو الفصاحة والبلاغة ، وصاحبه يسأل عن أحوالهما اللفظية والمعنوية ، وهو والنحوي يشتركان في أنّ النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة . وصاحب علم البيان ، ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة . والمراد بها : أن تكون على هيئة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمر وراء النحو والإعراب. ألا ترى أنّ النحوي يفهم معنى الكلام المنظور والمنثور، ويعلم مواقع إعرابه ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة [2].

فالبيان إذا لا يكتفي بإظهار المعنى المباشر، بل يطلب من المتذوق أن يكتشف بذكائه معنى المعنى [3].

أولا : المجاز:

كلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأوّل فهي مجاز، وإن شئت قلت: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظته ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها فهي مجاز، ومعنى الملاحظة هو أنّها تستند في الجملة إلى غير هذا الذي تريده لها الآن إلاّ أنّ هذا الإسناد يقوى ويضعف[4].

---

(1)مصطفى الصاوي الجويني ، البلاغة العربية تأصيل وتجديد ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر ، (د.ط) ، 1985م ، ص : 130 .

(2) ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب و الشّاعر ، ج1 ، ص : 07 .

(3) محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب ، علوم البلاغة ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، (د.ط) ، 2003م ، ص : 137.

(4)عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة في علم البيان ، صححه وعلق على حواشيه ، محمد رشيد رضا ، مكتبة ابن تميمة ، القاهرة ، (د.ت) ، ص : 252 .

والحقيقة أنّ المجاز لم يكن مجازا لأنّه إثبات الحكم لغير مستحقه بل لأنّه أثبت لما يستحق تشبيها وردّا له إلى ما يستحق، وأنّه ينظر من هذا إلى ذاك، وإثباته ما أثبت للفرع الذي ليس بمستحق يتضمن الإثبات للأصل الذي هو المستحق، فلا يتصور الجمع بين شيئين في وصف أو حكم من طريق التشبيه والتأويل حتى يبدأ بالأصل في إثبات ذلك الوصف والحكم له[1].

وللمجاز قسمين على اعتبار عبد القاهر الجرجاني حيث يقول: " واعلم أنّ المجاز على ضربين: مجاز من طريق اللغة، ومجاز من طريق المعنى المعقول "[2].

1- المجاز العقلي : ويكون في الإسناد أي في إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غيره إلى غير ما هو له، ويسمى المجاز الحكمي، و الإسناد المجازي لا يكون إلاّ في التّركيب.

فالإسناد المجازي يكون إلى سبب الفعل أو زمانه أو مكانه أو مصدره أو بإسناد المبني للفاعل إلى المفعول أو المبني للمفعول إلى الفاعل. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ ﴿٤٣﴾ ﴾[3]، المعنى لا معصوم [*] اليوم من أمر اللّه إلاّ من رحمه اللّه، فاسم الفاعل "عاصم" أسند إلى المفعول، وهذا مجاز عقلي علاقته المفعولية[4].

وقال تعالى:﴿ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴾[5]، وصف الكتاب بالهدى والبشرى جار على طريقة المجاز العقلي، وإنّما الهادي والمبشر اللّه أو الرسول صلى اللّه عليه وسلم بسبب الكتاب وجعل هذان الحالان "هدى وبشرى" مصدرا للمبالغة بقوة تسببه في الهدى وتبليغه البشرى للمؤمنين، فالمعنى أنّ الهدى للمؤمنين والبشرى حاصلان منه ومستمران من آياته.

وإسناد الهدى والتبشير إلى القرآن ذلك من المجاز العقلي لأنّ الأصل إسناده إلى اللّه أو الرسول صلى اللّه عليه وسلم وهنا حدث العدول أو الانزياح[6].

---

(1)المرجع نفسه ، ص : 277 .

(2)م ن ، ص : 293 .

(3)هود .

(*) يجوز أن تكون " عاصم " مستعملة في حقيقتها ، ويكون المعنى لاشيء يعصم الناس من قضاء الله إلاّ من رحمه الله منهم فإنه تعالى هو الذي يعصمه .

(4)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1423 هـ – 2002 م ص : 71 .

(5)النمل .

(6)محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 19 ، ص :220 .

وقال أيضا: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [1].

والمبصرة : الظاهرة صيغ لها وزن اسم فاعل الإبصار على طريقة المجاز العقلي، وإنّما المبصر الناظر إليها.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [2] وتكنّ: "تخفي" وهو من (أكنّ) إذا جعل شيئا كائنا، أي حاصلا في كنّ، والكنّ: المسكن وإسناد "تكنّ" إلى الصدور مجاز عقلي باعتبار أنّ الصدور مكانه، ومن ثمّ كان فعل "الكنّ" إلى الصدور رغم أنّ الصدور ليست هي التي تكنّ وذلك عن طريق المجاز العقلي، ومن ثمّ حصل الانزياح، لأنّ إثبات الفعل أو إسناده لغير القادر لا يصح إلاّ أنّ ذلك على سبيل التأويل وعلى العرف الجاري بين النّاس أن يجعلوا الشيء كان سببا أو كالسبب في وجود الفعل من فاعله كأنّه فاعل [3].

هذا فيما يخصّ المجاز العقلي أمّا المجاز اللّغوي فسأتطرق إليه:

2- <u>المجاز اللّغوي:</u> هو اللّفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي، والعلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي قد تكون المشابهة، وقد تكون غيرها. والقرينة قد تكون لفظية وقد تكون حالية[4].

وعليه فالمجاز اللّغوي يكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللّغوية إلى معان أخرى بينهما صلة ومناسبة، وهذا المجاز يكون في المفرد، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له [5]، وهو نوعان:

2-1- المجاز المرسل : سمّي مرسلا لإرساله عن التقيّد بعلاقة المشابهة ؛ أي أطلق، فلم يقيّد بعلاقة واحدة مخصوصة وإنّما له علاقات كثيرة، تدرك من خلال الكلمة التي تذكر في الجملة[6].

وهو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وُضع له ملابسةً غير التشبيه، كاليد إذا استعملت في النّعمة، لأنّ من شأنها أن تصدر عن الجارحة، ومنها تصل إلى المقصود بها ويشترط أن يكون في

---

(1)النمل .

(2) النمل.

(3) عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة في علم البيان ، صححه وعلق على حواشيه محمد رشيد رضا ، ص : 276 .

(4)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 66 .

(5)عبد العزيز عتيق ، علم البيان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، (د.ت.ط) ، ص : 143 .

(6)غازي يموت ، علم أساليب البيان ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1995م ، ص: 217 .

الكلام إشارة إلى المولى لها[1].

كما يعرّف المجاز المرسل بأنّه مجاز لغوي يرتبط فيه المعنى الحقيقي بالمعنى المجازي بعلاقة هي غير المشابهة[2].

<u>علاقات المجاز المرسل:</u> وله علاقات كثيرة سأدرجها على النّحو التّالي:

1- العلاقة السببية: اطلاق اسم السبب على المسبب نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ ﴿١٩﴾﴾ [3]

أطلق اسم السبب على المسبب في قوله: "من بعد ما جاءهم العلم"، عبر بالعلم عن التوراة و الإنجيل، أو النبي صلّى اللّه عليه وسلّم، ومنها إطلاق المسبب و إرادة السبب[4].

وقد وردت علاقة السببية في القرآن الكريم ، ومن ذلك :

- إطلاق السمع على القبول، كقوله تعالى: ﴿مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ ﴿٢٠﴾﴾[5]، أي ما كانوا يستطيعون قبول ذلك و العمل به، لأنّ قبول الشّيء مرتب على سماعه ومسبب عنه.

ومنه :

- إطلاق الإيمان على ما نشأ عنه من الطاعة، كقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ ﴿٨٥﴾﴾[6]،أي أفتعملون ببعض التوراة، وتتركون العمل ببعض، وهو قتل إخوانكم وإخراجهم من ديارهم؟

ومنه:

- نسبه الفعل إلى سببه، كقوله تعالى: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَا كَانَا فِيهِۖ ﴿٣٦﴾﴾[7].

---

(1)الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، ص : 03-05 .

(2) يوسف أبو العدوس ، المجاز المرسل والكناية ، الأبعاد المعرفية والجمالية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، لبنان ، ط1 ، 1998م ، ص : 15 .

(3)آل عمران.

(4)أبو حيان ، البحر المحيط ، ج2 ، ص : 492 .

(5)مريم .

(6)البقرة .

(7)الصافات .

أي كما أخرج أبوكم فليخرجنّكم من الجنّة، وقوله أيضا: ﴿يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ﴿٢٧﴾﴾[1]، إنّ المخرج والنّازع في الحقيقة هو اللّه عز وجل، وسبب ذلك أكل الشّجرة، وسبب أكل الشّجرة وسوسة الشّيطان ومقاسمته على أنّه من النّاصحين[2].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴿٤٠﴾﴾[3]

2- العلاقة المسببية: وهي عكس العلاقة السابقة؛ لأنّها تذكر النّتيجة كقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴿١٣﴾﴾[4] ، ومعلوم أنّه تعالى ينزّل لنا مطرا ينتج عنه الرّزق لكن الآية ذكرت نتيجة المطر بدلا من التصريح به، أي ينزل مطرا. فالرّزق لا ينزل من السّماء، وإنّما المطر الذي يروي الأرض، فتأتي أكلها ويجني الإنسان منه رزقه.

وقوله أيضا: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ﴿١٠﴾﴾[6] ، وقولهم: فلان أكل الدّم، أي الدّيّة التي هي مسببة عن الدّم.

3- العلاقة الكلّيّة : وذلك أن يطلق لفظ الكلّ ويراد به الجزء.

ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴿٧﴾﴾[7]، فالأصبع لا يوضع كله في الأذن، وإنّما طرفه فحسب.

ففي هذه الآية، أطلق لفظ الكلّ وأريد الجزء، وهو الأنامل، فأصابعهم مجاز مرسل علاقته الكلّيّة.

وقوله تعالى: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾[8]، يعني صلاة الفجر تشهدها ملائكة الليل وملائكة النّهار إذ لا صلاة بلا قرآن.

---

(1)الاعراف .

(2)معاني القرآن ، ج2 ، ص : 384 .

(3)محمد.

(4)غافر .

(6)النساء .

(7)نوح.

(8)الإسراء .

وذكر الزمخشري في الكشّاف، عند الكلام على مجاز الآية السابقة أمثلة مشابهة، مثل قوله تعالى: ﴿فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ٦﴾ [1]

وقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ٣٨﴾ [2] فالمراد أيديهما إلى الرسغ.[3]

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ ١٦٧﴾ [4]

أطلق لفظ الأفواه وأريد به الجزء "اللّسان".

وقوله أيضا : ﴿وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم ١٩﴾ [5]، أي أناملهم والقرينة حالية وهي استحالة إدخال الأصبع كله في الأذن ، ونحو شربت ماء النيل بعضه بقرينة شربت .

4- العلاقة الجزئية : هي كون المذكور ضمن شيء آخر وذلك فيما إذا ذكر لفظ الجزء، وأريد به الكلّ مثل قوله تعالى: ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ ٤٠﴾ [6]

تتحدّث الآية عن أم موسى عليه السلام، حين كان في كنف فرعون وليدا، فأعاده اللّه عز وجل إليها، كي تفرح، ويطمئنّ قلبها، وتهدأ جوارحها وتسر نفسها وتطيب بذلك الرّجوع. لكنّ الآية لم تشر إلى هذا الاطمئنان الذي يصيب من الأم كامل كيانها، واكتفت بذكر سرور العين واطمئنانها، دون سواها، وما ذلك إلاّ على سبيل المجاز؛ فالعين جزء من جوارح الإنسان، لا تقتصر عليها الفرح و الأمان.

وهذا الجزء به ترى أمّ موسى وليدها الصغير فتفرح، ويخلو من الحزن قلبها، ولمّا كان للعين هذه الأهميّة، وهي جزء من الكلّ، فقد نابت منابه، وذكرت مكانه، وإنّما المقصود حقيقة هو: الإنسان، فالفرح فرحه، والاطمئنان اطمئنانه.

وقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ٢﴾ [7]، المراد أصحابها.

---

(1)المائدة .

(2)المائدة .

(3)غازي يموت ، علم أساليب البيان ، ص: 223 .

(4)آل عمران .

(5)البقرة .

(6)طه .

(7)الغاشية .

وقوله تعالى: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾﴾ [1]، قال الفرّاء: نقل عن مجاهد قوله : الأعناق هنا المراد بها الرّجال الكبراء، ولأنّ العنق جزء من الإنسان وخضوع الإنسان وخضوع العنق دليل الاستسلام.

5- العلاقة الحالية : هي كون الشّيء حالا في غيره وذلك فيما إذا ذكر لفظ الحال وأريد المحلّ لما بينهما من الملازمة نحو قوله تعالى﴿فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [2]
فالمراد من الرحمة الجنة التي تحل فيها رحمة الله، ففيه مجاز مرسل علاقته الحالية.
وقوله تعالى:﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴿٣١﴾ ﴾ [3] أي لباسكم لحلول الزينة فيه، الزينة حال واللباس محلها.
وقوله أيضا: ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ الانفطار: ١٣ " [4] فالأبرار فإنما يكونون في مكان عظيم، ولكن الآية لم تذكر هذا المكان، وهو الجنة، وذكرت صفة أساسية من الصفات التي تحل فيه، وهي النعيم ، مجاز مرسل أطلق وأريد به الجنة، فالعلاقة هنا حالية [5].

6- العلاقة المحلية: وذلك بأن يطلق لفظ المحل، ويراد به الحال فيه. ومن أمثلة هذه العلاقة قوله تعالى: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾ [6] فأطلق لفظ النادي وهو محل الاجتماع، ولكن المراد به هو الناس الذين ينزلون في هذا المحل.
وقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾﴾ [7] واليمين: القدرة والقوة لأن اليمين موضع القدرة والقوة[8].

---

(1)الشعراء.
(2) آل عمران .
(3) الأعراف .
(4) المطففين .
(5) غازي يموت ، علم أساليب البيان ، ص: 227 .
(6)العلق .
(7)الصافات .
(8)يوسف أبو العدوس ، المجاز المرسل والكناية ، ص : 19 .

وقوله أيضا: ﴿ مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ ﴿١٣﴾ ﴾ [1] ويريد التي أخرجك أهلها من المدينة، لأن أهل القرية هم الذين أخرجوه.

وقال تعالى: ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [2] هذه الآية تحتوي على مجاز مرسل علاقته العالية، والتقدير في الليل، وأسند صاحب الكتاب الفعل في كلام العرب إلى غير ما حقه أن يسند إليه، فالواطئ حقيقة هو أهل الطريق، وعلاقة المجاز المرسل هنا هي المحلية[3].

7- العلاقة الآلية: وذلك بأن يطلق اسم الآلة ويراد به الأثر الذي ينتج عنها، نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [4]، فذكرت الآية الآلة، وهي اللسان، والمراد ما ينتج عن اللسان، وهو الكلام، أي : واجعل لي ذكرا جميلا بعدي، أذكر به، ويقتدى بي في الخير. فاللسان مجاز مرسل علاقته الآلية.

وقوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ ﴿٦١﴾ ﴾ [5]، لقد أطلق لفظ الآلة هنا وهي العين، وأريد بها ما ينتج عنها وهي الرؤية، أي: أتوا به على رؤوس الأشهاد.

فالمجاز المرسل هنا علاقته الآلية.

وقوله أيضا: ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿٣٧﴾ ﴾ [6]، أي مرأى منا؛ وقوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ ﴿٤﴾ ﴾ [7] أي بلغة قومه.

---

(1)محمد .

(2)سبأ .

(3)سيبوية، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط1 ،1991م، ص : 212-213.

(4)الشعراء.

(5)الأنبياء.

(6)هود .

(7)إبراهيم .

8- العلاقة الماضوية أي اعتبار ما كان: وذلك بأن يطلق اللفظ الذي يدل على ما كان الأمر عليه، والمراد ما هو عليه في الحاضر، ومثالها في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا ٧٤﴾ [8]، فسماه عز وجل مجرما باعتبار ما كان عليه في الحياة الدنيا من إجرام.

ومن أمثلته أيضا قوله تعالى : ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ ٢﴾ [1]

فاليتيم لغة : الذي مات أبوه فهو يتيم حيي يبلغ ، فإذا بلغ لم يعد يسمى يتيما .

فالمقصود بالآية ليس الصغار غير البالغين مما فقدو ا آباءهم ، كما يشير المعنى اللغوي الحقيقي لان هؤلاء لا يحسنون إدارة أموالهم ، ولا يملكون من الخبرة و الحكمة ما يؤهلهم لسهر على مصالحهم وإنما المقصود بذالك من بلغ سن الرشد منهم ، وصار مؤهلا لرعاية نفسه رعاية طيبة ، وإدارة شؤون مصلحه إدارة جديدة ، فاستعمال الاسم الأول الذي كان لهم قبل إيناس الرشد منهم ، وهو اليتامى إنما كان على سبيل المجاز المرسل والعلاقة هنا اعتبار مكان [2].

9- العلاقة المستقبلية أي اعتبار ما يكون: وذلك بأن يطلق اللّفظ الذي يدلّ على ما يكون الأمر عليه، والمراد به، ما كان عليه قبل ذلك ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ٢٦ إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارًا ٢٧﴾ [3]

كيف يكون المولود كافرا و فاجرا ، وهو صغير لا يعرف ولا يعي من أمور الخير والشر شيئا؟

وكيف حكم نوح عليه السلام على أولاد الكفار بالكفر والفجور، وهو لم يخبرهم بعد ، ولم يدري من حقيقة مستقبلهم شيئا؟

والجواب: إنّ إطلاق نوح هذين اللفظين على أولاد القوم الكافرين إنما كان باعتبار ما ظن أنّه كائن في المستقبل إذ سيؤول أمرهم إلى الاعتقاد بما اعتقده أهلهم ، فالأبناء عادة على دين أبائهم ،لما للآباء من قوة على الأبناء ، ولما لقومه بالذات من سيطرة ونفوذ وفجور وكفر وجبروت ، فالفظان مجازان مرسلان ، علاقتهما المستقبلية .

وقوله تعالى: ﴿فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ١٠١﴾ [4] أي سيكون حليما في المستقبل.

---

(8)طه .

(1)النساء .

(2) غازي يموت ، علم أساليب البيان ، ص: 227 .

(3) نوح .

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ ﴿١٧٨﴾ ﴾[5]. فأطلق لفظ القتلى وأريد به الذين سيقتلون.

وقوله أيضا: ﴿ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ ﴿٥﴾ ﴾[1]. الدفء ما يلبسون منها ويبتنون من أوبارها، فالأوبار لا ينتفع بها النّاس إلاّ بعد انفصالها عن الأنعام.

ثانيا : الاستعارة: (*)

وهي كلمة استعملت في غير معناها لعلاقة المشابهة بين المعنيين الأصلي والمجازي [2] وهي عبارة عن :" مجاز لغوي يستخدم اللفظ فيه على غير معناه الأصلي لعلاقة هي المشابهة بين المعنى الحقيقي و المعنى المجازي ، فالاستعارة إذا مبنية عل ى التشبيه . فالمستعار له عبارة عن المشبّه والمستعار منه عبارة عن المشبّه به و يقال لهما الطرفان ، و المستعار به عبارة عن وجه الشبه ويسمى الجامع.[3] و الاستعارة نوعان بالإضافة إلى أنواع أخرى : استعارة تصريحية ، و استعارة مكنية .

و الاستعارة تكون في الأسماء أو في الأفعال أو في الحروف.

- **الاستعارة في الأسماء:**

أولاً: في المبنى الصرفي : وتأتي على قسمين :

أ- الاستعارة الأصلية: هي ما كان اللفظ المستعار، أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما جامدا أو غير مشتق مثل قوله تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴿١﴾ ﴾[4]

فقد شبه الظلام بالظلمات بجامع عدم الاهتداء في كل منهما ثم شبه الهدى بالنور بجامع الاهتداء بكل منهما.[5]

---

(4)الصافات.

(5)البقرة.

(1)النحل .

(*) تتميز الاستعارة من التشبيه كونه تعبير حقيقي ، أما الاستعارة فتعبير مجازي .

(2)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 101 .

(3)عبد الله بن أحمد النسقي ، تفسير النسقي ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، تح مروان محمد الشعار ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ج3 ، 1416 هـ - 1996م ، ص : 299 .

(4)إبراهيم .

(5)يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، دار المسيرة ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1427 هـ - 2007م ، ص : 140.

ب . الاستعارة التبعية : هي ما كان اللفظ المستعار أو اللفظ الذي جرت فيه الاستعارة اسما مشتقا أو فعلا، و من أمثلة ذلك.

قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [6]

الاستعارة في هذه الآية الكريمة كامنة في جملة "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ" لأنّ القصص لا يوصف به إلاّ الناطق المتميّز ، ولكن القرآن لمّا تضمن نبأ الأوّلين كان كالشّخص الذي يقصّ على النّاس الأخبار ففيه استعارة تبعية ، وأجد في إسناد فعل القص إلى شيء لا تتوفّر فيه شروط القص كالكلام هو الانزياح عن النّمط المألوف والخرق للمعهود ، حيث يترك التعبير القرآني قارئه أو سامعه في عملية تأويل وتخييل.

ومن أمثلة الاستعارة التّبعية أيضا :

أ- اسم الفاعل :

مثل قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾﴾ [1]

فحقيقة عاتية شديدة ، وحقيقة طاغية عالية .

وقوله تعالى : ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [2]

إذا استعيرت "خامدين" لتدلل على نهاية أولئك الأشرار الذين خمدوا كما خمدت النّار المؤذية .[3]

ب – الصفة المشبّهة :

مثل قوله تعالى : ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾﴾ [4] ، فقد شبّه القوم بعد أن مسّهم عذاب اللّه بالحصيد الذي أصابه الهلاك و الخمود.

وقوله تعالى : ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [5]

---

(6)النمل.

(1)الحاقة .

(2) الأنبياء .

(3) يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، مرجع سابق ، ص ن .

(4) الأنبياء .

(5) الأنفال .

(6) الذاريات .

إذا استعير "كريم" للرزق ، وهو صفة ملاصقة للإنسان .

وقوله تعالى : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ﴾[6] ، فالعقم صفة للمرء أو المرأة التي لا تلد، استعيرت للدّلالة على الرّيح التي تفسد ما يعترضها .

جـ – اسم المكان :

مثل قوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[1]، فشبّه الموت بالرّقاد والقبر بمكان الرّقاد .

د – اسم المفعول :

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾[2] ، وحقيقته : لا تمنع ما تملكه كل المنع إذ جعل المنع بمنزلة غلّ اليدين إلى العنق.

ثانيا : في الموقع الإعرابي :

أ – المفعول به :

ومثاله قوله تعالى : ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾[3] ، فاستعار لفظة " لباس " الواقعة مفعولا لتقريب العذاب الذي أوقعه اللّه بهؤلاء النّاس .

ب – الظّرف :

و مثاله قوله تعالى : ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[4]، فالنّبذ وراء الظّهر هو أن تلقي الشّيء خلفك أمر حسي ، ثم وقع مستعار للتّعرّض للغفلة وأنّه أمر عقلي و الجامع زوال المشاهدة .[5]

وهناك أنواع أخرى من الاستعارات أهمّها :

1 – الاستعارة التّصريحية : وهي التي حذف فيها المشبّه أي المستعار له وذكر المشبّه به أي المستعار منه ، وهي ما صرّح فيها بلفظ المشبّه به .[6]

---

(1)يس .

(2) الإسراء .

(3) النحل.

(4)آل عمران .

(5)يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص : 147 .

(6)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 71 .

ومثالها قوله تعالى : ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ ﴾[7] أي الدّين الحق فالاستعارة تصريحية .

وقال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۝١ ﴾[1]
في هذه الآية شُبِّهَتْ الضلالة بالظّلمة بجامع عدم اهتداء في كل و استعير اللّفظ الدّال على المشبّه به وهو الظلمة للمشبّه به وهو الضلالة على طريق الاستعارة التّصريحية .[2]

2– الاستعارة المكنية : وهي التي تتضمّن كناية ، وهي أيضا ما حُذِف فيها المشبّه به ورُمِز له بشيء من لوازمه .[3]

ومثالها قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ۝٨١ ﴾[4]
فقوله "عَنْ ضَلاَلَتِهِمْ" يتضمّن استعارة مكنية قرينتها حالية ، شبّه الدّين الحق بالطّريق الواضح ، وإسناد الضلالة إلى سالكيه ترشيح لها وتخييل ، والضلالة أيضا مستعار لعدم إدراك الحق تبعا للاستعارة المكنية ، وأطلقت هنا على عدم الاهتداء للطّريق ، وضمير "ضلالتهم" عائد على العمي.
ولتأتي هذه الاستعارة الرّشيقة عدل عن تعليق ما حقّه أن يعلّق بالهدى فعلّق به ما يقتضيه نفي الهدى من معنى الصّرف والمباعدة ، فقيل " عَنْ ضَلاَلَتِهِمْ " يتضمّن " هادي " معنى صارف ، فصار : ما أنت بصارفهم عن ضلالتهم كما يقال : سقاه عن العيمة ، أي سقاه صارفا له عن العيمة وهي شهوة اللّبن.[5]

وقال تعالى على لسان زكرياء : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ۝٤ ﴾[6]
شبّه الرأس بالوقود ثم حذف المشبّه به ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو " اشتعل" على سبيل الاستعارة المكنية، والقرينة إثبات الاشتعال للرّأس.[7]

---

(7)الفاتحة.
(1)إبراهيم.
(2)أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ، ص : 187 .
(3)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 71 .
(4)النمل .
(5)محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 20 ، ص :37 .
(6)مريم .

وقال تعالى : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴿٢٤﴾ ﴾[8]، في هذه الآية الذّل بطائر، واستعير لفظ المشبّه به وهو الطائر للمشبّه وهو " الذّل " على طريق الاستعارة المكنية ثم حذف الطّائر ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح.[1]

3 – الاستعارة البديعية :

قال تعالى : ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٞ ﴿٤٠﴾﴾[2]

في قوله : " قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ " شبّه سرعة مجيئه بالعرش برجوع الطّرف للإنسان وارتداد الطّرف معناه التقاء الجفنين وهو أبلغ ما يمكن أن يوصف به في السّرعة ومثله :

﴿وَمَآ أَمۡرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمۡحِ ٱلۡبَصَرِ ﴿٧٧﴾﴾[3] أو أقرب فاستعار للسّرعة الفائقة ارتداد الطّرف[4].

وقال تعالى : ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[5]

جمع عمٍ بالتنوين وهو فعل من العمى ، صاغوا له مثال المبالغة للدّلالة على شدّة العمى ، وهو تشبيه عدم العلم بالعمى وعادم العلم بالأعمى وجملة " بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ " ارتقاء ثالث وهو آخر درجات الارتقاء في إثبات ضلالتهم وهو أنّهم عميان عن شأن الآخرة ، وفيها نجد الاستعارة ، حيث استعار العمى للتّعامي عن الحق وعدم التدبّر في آلاء إله.[6]

وللمتأمّل أن يتذوّق ما لهذا الأسلوب العدولي من جماليات وأثر في المعنى بإعمال نظام العقل ونظام الخطاب .

4 – الاستعارة اللطيفة :

---

(7)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 72 .

(8)الإسراء.

(1)أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص : 218 .

(2)النمل .

(3)النحل .

(4)الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج3 ، ص : 368 .

(5)النمل .

(6)محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 20 ، ص :23 .

قال تعالى : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾[7]

في جملة " بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ " استعارة ، أي استعار اليدين للدّلالة على الأمام أي أمام نزول المطر ، لأنّ الرّياح هي السبب في إثارة السّحاب الّذي به المطر وهو المعنى برحمة اللّه ، و إرساله الرّياح هو خلق أسباب تكوينها[1].

5– الاستعارة التّمثيلية :

قال تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾[2]

" الموتى والصّمّ " مستعاران للقوم الذين لا يقبلون القول الحق و يكابرون من يقوله لهم ، شبّهوا بالموتى على طريقة الاستعارة في انتقاء فهمه معاني القرآن وشُبّهوا بالصّم كذلك في انتقاء أثر بلاغة ألفاظه عن نفوسهم ، فالمشركون شبّهوا بالموتى بالنّظر إلى الأثر الأوّل للقرآن وهو احتواؤه على المعاني المقبولة لدى أهل العقول السّليمة من العرب والعجم عن مقدرة بلغاء العرب ، وهذا أثر لفظي وهو دليل الإعجاز وهو خاص بالعرب مباشرة ، وحاصل لغيرهم من أهل النّظر والتّأمل إذا تدبّروا في عجز البلغاء من أهل اللّسان الّذي جاء به القرآن ، فهؤلاء يوقنون بأنّ عجز بلغاء أهل ذلك اللّسان عن معارضته دال على أنّه فوق مقدرتهم فحصلت استعارتان ونفي الاستماع فيهما ترشيحان للاستعارتين وهما مستعاران لانتقاء معالجة إبلاغهم[3].

- **الاستعارة في الأفعال :**

أوّلا : من حيث الحدث :

1 – في الفعل الماضي :

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴿١﴾ ﴾[4]، شبّه الإتيان في المستقبل بالإتيان في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل ، واستعير الإتيان في الماضي للإتيان في المستقبل ،واشتق منه "أتى" بمعنى

---

(7)النمل .

(1)محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، ط8 ، 1995 م ، ص : 416 .

(2)النمل .

(3)محمد الطّاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج 20 ، ص :35 .

(4)النحل .

"يأتي" على سبيل الاستعارة التّصريحية التّبعية .وقوله تعالى: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ﴿٥٠﴾ ﴾ [5] فقد شبّه النّداء في المستقبل ، ثمّ اشتق منه "نادى" بمعنى " ينادي" على سبيل الاستعارة التّصريحية التّبعية ، والقرينة إسناد الفعل لأصحاب النّار[1].

2 – في الفعل المضارع :

ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [2]، شبّه إخراج النّهار من اللّيل بالسّلخ ، وهو من سلخ جلد الشّاة بعد ذبحها[3].

و قوله تعالى : ﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ ﴿١٨﴾ ﴾ [4]

يشبّه إرسال الحق على الباطل بالقذف ، وتغلب الحق على الباطل بالدّمغ وهو الشّيب في الرّأس.

وقوله تعالى : ﴿ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ ﴿١٧﴾ ﴾ [5]، شبه تزيين الأرض بالنبات ذي الخضرة والنضرة بالإحياء.

هذا فيما يخص فعلي " الماضي والمضارع " أما فعل الأمر فمثاله قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [6]، شبه الأمر بتبليغ الرسالة وإنفاذ الأوامر بالصدع وهو الكسر للزجاج ونحوه[7].

ثانيا : من حيث الزمن :

1– استعارة الماضي للدلالة على المضارع ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [8]

فاستخدم الماضي " نادى " موضع المضارع " ينادي " ، ذلك أنّ النداء لما يقع ولن يحدث إلا يوم القيامة ، فقد شبه النداء في المستقبل بالنداء في الماضي بجامع تحقق الوقوع في كل منهما[9].

---

(5)الأعراف : 50 .

(1)يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص : 148 .

(2)يس .

(3)الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج3 ، ص : 372 .

(4)الأنبياء .

(5)الحديد .

(6)الحجر .

(7)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 76 .

(8)الأعراف .

2- استعارة المضارع للدلالة على الماضي ، ومثال ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [1]، فقد أتى المضارع " يرفع " مكان الماضي " رفع " ، حيث إنّ رفع قواعد البيت أمر تمّ منذ زمن بعيد ففي قوله " يرفع " استعارة ، إذ شبّه الرّفع في الماضي بالرفع في الحال بجامع شدة الانكشاف والظهور في كل منهم[2].

- **<u>الاستعارة في الحروف :</u>**

هناك عدد من الحروف تقع فيها الاستعارة منها :

قوله تعالى : ﴿ فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴿٨﴾ ﴾ [3]

شبهت العداوة والحزن المترتبان على الالتقاط في الواقع بالعلّة الحقيقية التي هي المحبّة ثم استعيرت " اللام " من معناها الحقيقي ، وهو ترتب العلّة الحقيقية على الالتقاط لترتب غير العلّة الحقيقية عليه ، على طريق الاستعارة التّصريحية التّبعية، و القرينة دخول اللام على العداوة و الحزن.

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[4]، "على" تفيد الاستعلاء وهو غير مقصود في الآية ، إذا الرسول /ص/ لا يستعلي فوق الخلق العظيم ويمتطيه ، وإنّما هو على المجاز والاستعارة ، أراد به تمكّن الرسول /ص/ من الخلق العظيم و السّجايا الشّريفة ، فقد شبّه مطلق تمكّن الرّسول من الأخلاق الحميدة بمطلق تمكّن الشّيء الجزئي وهو معنى الحرف ، ثمّ استعير"على" من الاستعلاء الحسّي وهو الامتطاء للاستعلاء المعنوي وهو التّمكّن[5].

وقال أيضا : ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [6]، ف "ربّما" حقّها أن تعد من باب الاستعارة التّهكّمية ، وأن تعد تبعية على قول سيبويه في "رُبَّ" وأصلية على قول الأخفش رحمهما الله[7].

---

(9)يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص : 149 .

(1)البقرة .

(2)يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، مرجع سابق ، ص ن .

(3)القصص.

(4)القلم .

(5)عبد القادر حسين ، القرآن والصور البيانية ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، (د.ت.ط) ، ص : 147 .

(6)الحجر.

(7)يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص : 173 .

ويعد الزّمخشري من أوائل الذين لمحوا استعارة الحرف ، قال في قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ ۝﴾ [1]، ومعنى الاستعلاء في قوله تعالى "على هدى" مثلٌ لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به، شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه، ونحوه : هو على الحق وعلى الباطل، وقد صرّحوا بذلك في قولهم : جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل وقد غارب الهدى[2].

وقيمة الاستعارة أنها رؤية أخرى للشيء من شأنها أن تبدل بعض المقاييس وقد ترفع الموجودات إلى مستوى كياني أعلى، كأن تخلع على الجماد بعض طبيعة النبات أو على النبات والجماد والحيوان بعض طبيعة الإنسان، من هنا تكون الاستعارة عدولا وخرقا للمعهود.

ثالثا : التّشبيه :

أشير إلى أنّ بعض العلماء لم يعتبروا التّشبيه مجازا، الأمر الّذي يُوهم بقلّة أهمّية تناوله أثناء الحديث عن العدول، إلّا أنّ جمهور علماء البيان " يعدّون التّشبيه من المجاز ويورد شاهدا على ذلك نجم الدّين بن الأثير الحلبي وابن أبي الإصبع الذي أدخل من المجاز كل أبواب البديع– ومن بينها التّشبيه– باعتبارها جميعا من قبل التجوز في التعبير [3].

إنّ مقتضى الدراسة لا يشجّع على الخوض في هذه الاعتبارات الاصطلاحية، الّتي عرفت تطوّرا كبيرا خلال رحلة البلاغة العربيّة. وما يهمّنا هو محاولة إظهار بعض ملامح العدول من خلال التّشبيه، الّذي يقوم على أركان هي : المشبّه،المشبّه به، أداة التّشبيه، وجه الشّبه ، هذا التّنامي الخطي جعل التّشبيه قريب المأخذ، يفصح عن المراد منه بسهولة ويسر، حتّى رأى الكثير من البلاغيّين أنّ "كلّ تشبيه ينقل فيه من المشبّه به من غير حاجة إلى تفكير وتأمّل، بسبب وضوح وجه الشّبه فيهما، هو لهذه الأسباب تشبيه مبتدل...، ثمّ ألم يكن من البديهي القول بأنّ التّشبيه في الأصل يقوم على عقد مقارنة بين شيئين في صفة أو أكثر، تكون في العادة أظهر في المشبّه به منها في المشبّه، وذلك هو الأصل، غير أنّه في الاستخدام الحي يخرق الأصول فيجعل تلك

---

(1)البقرة .

(2)الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج3 ، ص : 375 .

(3)عبد الحكيم راضي ، نظرية اللغة في النقد العربي ، ص : 239 .

الصفات أبرز في المشبّه منها في المشبّه به، وهو ما يعرف في البلاغة المقلوب "[1].

فالتشبيه إذا: بيان أنّ شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر بأداة هي الكاف أو نحوها ملفوظة أو ملحوظة [2].

وقد ورد هذا اللّون من التّصوير البياني في مواضع عديدة من القرآن الكريم أذكر منها على سبيل المثال: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾﴾ [3] يشبّه صفة الحياة الدنيا العربية العجيبة في نهجتها وسرعة زوالها بنبات أخضر سُقي بالماء العذب، وتوفرت له عوامل النّمو، ووجه الشبه هو سرعة الزّوال بعد البهجة والكمال.

إذن ليس المراد تشبُّه حال الدنيا بالماء[4].

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [5]

فالمشبّه هنا: هو حال من ينفق قليلا من المال في سبيل الله، ثمّ يلقى عليه جزاء جزيلا المشبّه به: حال من بذّر حبّة فأنبتت سبع سنابل في كلّ سنبلة مائة حبّة.

وجه الشّبه: صورة من يعمل قليلا فيجني من ثمار عمله كثيرا.[6]

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾[7]

المشبّه: الضّمير في كأنّهم،أي قوم عاد أصحاب هود عليه السّلام، حيث أُهلكو بالرِّيح الصّرصر الشديدة، فأصبحوا في دارهم جاثمين.

المشبّه به: أعجاز النخل المنقعر المبعثر على الأرض وقد اجتثت من أصولها.

أداة التّشبيه: كأنّ. ووجه الشّبه : هيئة أجسام ضخمة مبعثرة على الأرض، حيث فقدت الأجسام حياتها.[8]

---

(1)عبد الفتاح لاشين،البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط2 ،2000 م،ص:87.

(2) علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 115 .

(3) يونس.

(4) يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص : 45 .

(5) البقرة .

(6)يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، مرجع سابق ، ص : 55 .

(7)القمر .

(8)المرجع السابق ، ص ن.

وقوله تعالى:﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ٥﴾[1]

المشبّه: صورة الذين أنزلت عليهم التوراة ولم يعملوا بها (اليهود).

المشبّه به: صورة الحمار الذي يحمل أسفارا(كتبا جليلة) ولا يفقه أهميتها.

وجه الشّبه: صورة من يحمل شيئا مهما يجهل قيمته[2]

يرى أبو حيّان أنّ: في التّشبيه بضرب المثل طريقا للتفهم والتصور للمعاني المدركة بالعقل فمتى أبرزت مشبهه بالمحسوسات لم ينازع فيها الحس والخيال والوهم،وانطبق المعقول على المحسوس فحصل الفهم والوصول إلى المطلوب[3].

وهو في فهمه للمشبّه به يلجأ إلى النص من قرآن و حديث،إن وجد مستدلا به للتدليل على صحة فهمه نحو تفسيره لقوله تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ أَصۡلُهَا ثَابِتٞ وَفَرۡعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٢٤ تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥﴾[4]

يقول والشّجرة الطيبة، شجرة في الجنّة ،قال ابن عباس: أو النخلة وعليه أكثر المتأوّلين وهو قول ابن مسعود،ابن عباس، أنس، مجاهد، عكرمة،الضحّاك وابن زيد. وجاء ذلك نصا من حديث ابن عمر مما خرجه الدارقطني عنه، قال قرأ رسول الله (ص) وذكر الآية فقال: أتدرون ما هي؟ فوقع في نفسي أنّها النخلة[6].

وهو في فهمه للمشبّه به ووجه الشّبه بينه وبين المشبّه يلجأ إلى الى ما أثّر عن العرب قراءة وما روى من أثر عن الصحابة رضوان الله عليهم.

نحو تفسيره لقوله تعالى:﴿وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ٤٠﴾[7]

يقول: وذكر الجمل لأنّه أعظم حيوان مزاول للإنسان جثّة فلا يلج إلّا في باب واسع.

يقول: مستدلّا بقراءة الجمهور وما أثر عن الصحابة لتأييد ما ذهب إليه وقراءة الجمهور الجمل بفتح الجيم، والميم أوقع لأنّ سمّ الإبرة يضرب به المثل في الضيق، والجمل هو هذا الحيوان المعروف

---

(1)الجمعة .

(2)أحمد أحمد بدوي ، من البلاغة القرآن ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، (د.ط) ، 1950م ، ص : 202 – 203 .

(3)آمال فوزي محمد أمين ، تطبيقات في علم البيان ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، (د.ت.ط) ، 2003 م ، ص : 111 .

(4)إبراهيم .

(6)المرجع السابق ، ص ن.

(7)الأعراف .

يضرب به المثل في عظم الجنّة. وسُئل ابن مسعود عن الجمل، فقال: زوج الناقة، وذلك منه استهجان للسّائل، ومنع منه أن يتكلّف له معنى آخر [1].

وقال تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [2]

المشبّه: صورة المنافقين في إظهارهم للإسلام وإبطانهم للكفر، وما يترتب على ذلك من حيرة واضطراب وقلق، لعدم وجود الإيمان الحقيقي في قلوبهم.

المشبّه به: صورة إنسان يسير في ظلام دامس، وقد أوقد مصباحا لينير الطريق أمامه، ويبعث في نفسه الاطمئنان والاستقرار النّفسي، وسرعان ما انطفأ هذا المصباح، فصار يتخبط في ظلام يبعث في نفسه الخوف والقلق والاضطراب.[3]

وللتّشبيه عدة أنواع أذكر أهمها:

1- التّشبيه المقلوب : ويسمى أيضا التّشبيه المعكوس، فيجعل المشبّه مشبها به ، وبالعكس فتعود فائدته إلى المشبه به، لإدّعاء أنّ المشبّه أتم و أكمل وأشهر من المشبّه به في وجه الشّبه، والمقصود من هذا القلب في التّشبيه المبالغة[4].

إذا أردت التّقرب العلمي من هذا اللّون من التّصوير، حتّى أدلل على حاجتي التطبيقية، منه برزت نماذج عديدة من القرآن الكريم منها: قوله تعالى:﴿قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴿٢٧٥﴾﴾ [5].

إذ الأصل إنّما الرّبا مثل البيع في العلية، ولكنّهم قلبوا التّشبيه مبالغة في اعتقادهم الفاسد بأنّ الرّبا ليس حراما، بل هو أصل الحلال، لا لفهم له، وتعاملهم به، فشبهوا البيع بالرّبا في أنّهما جائزان مبالغة في تحليل الرّبا، ولكن الله أبطل مقالتهم، واعتقادهم الفاسد بقوله :﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴿٢٧٥﴾﴾ [6]، إنكارا لتسويتهم بينهما ودلالة على أنّ القياس يهدمه النّص، لأنّه جعل الدّليل على بطلان قياسهم إحلال الله وتحريمه.[7]

---

(1)أبو حيّان ، البحر المحيط ، ج4 ، ص : 300 – 301.

(2)البقرة .

(3)يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص : 56 .

(4)المرجع نفسه ، ص : 58 .

(5)البقرة .

(6)البقرة .

(7)يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص : 59 .

وقوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً ﴿٣٩﴾ ﴾[1]

فقد شبّه أعمال الكافرين في عدم جدواها لهم، وإن كانوا يرون فيها الخير بالسّراب الذي يراه المسافر في الصّحراء، فيظنه ماء، ويتوهمه حقيقة بسبب شدّة ظمئه.

ووجه الشّبه: بطلان ما يتوهم مع شدّة الحاجة إليه.[2]

وقوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ ﴿١٨﴾ ﴾[3].

شبّه أعمال الكافرين بالرّماد الذي اشتدّت عليه الريح في يوم مليء بالعواصف.

ووجه الشّبه عدم بقاء أثر في كلّ، فالأعمال لا أثر لها في نفعهم يوم القيامة، والرّماد لإبقاء له بعد هذه الرّيح العاصف [4].

وقد أشار أبو حيان إلى هذا اللّون من التّشبيه عند عرضه لقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ "[5].

يقول:" وشبّهوا البيع، وهو على جوازه بالرّبا، وهو محرّم، ولم يعكسوا تنزيلا لهذا الذي يفعلونه منزلة الأصل المماثل له البيع، وهذا من عكس التّشبيه، وهو موجود في كلام العرب.[6]

2- التّشبيه البليغ : تطرّق إليه أبو حيّان وذلك عند عرضه لقوله تعالى:﴿ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[7].

فهو ينقل عن الزّمخشري نقلا يحوي تعريفا للتّشبيه البليغ الذي تضمنته هذه الآية في قوله تعالى : " صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ "، وعند عرضه أيضا قوله تعالى:﴿ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[8]

نجده يعدّه تشبيها محذوف(*) الأداة يقول:" أي كحرث لكم"[9]

---

(1)النور .

(2) عبد الفتاح لاشين،البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم ، ص:89.

(3) إبراهيم .

(4) المرجع السابق ، ص : 90-91 .

(5) البقرة.

(6) أبو حيّان ، البحر المحيط ، ج4 ، ص : 348 .

(7)البقرة .

(8)البقرة .

(*) نعني بذلك قوله : " تشبيه بليغ " .

(9)آمال فوزي محمد أمين ، تطبيقات في علم البيان ، ص : 116 .

3- التّشبيه التّخييلي: عرّفه عبد القاهر في أسراره قائلا:" وجملة الحديث الذي أريده بالتخييل ههنا ما يثبت فيه الشّاعر أمرا غير ثابت أصلا، ويدعى دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولا يخدع فيه نفسه، ويرميها ما لا ترى.[1]

وقد اهتم أبو حيّان بتقديم تعريف له في أثناء تفسيره يطابق ما نصّ عليه عبد القاهر يقول في قوله تعالى: ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ ٦٦ ﴾[2].

يقول: وقيل شبّه ما اشتهر في النّفوس من كراهة رؤوس الشياطين وقبحها، وإن كانت غير مرئية، ولذلك يصورون الشّيطان في أقبح الصّور، وإذا رأوا أشعث منتفس الشّعر قالوا كأنّه وجه شيطان، وكأنّه رأس شيطان، وهذه بخلاف الملك يشبّهون به الصور الحسنة.

وعليه: إنّ بلاغة التّشبيه آتية من ناحيتين: الأولى: تأليف ألفاظه. والثّانية : ابتكار مشبّه به بعيد عن الأذهان لا يجول إلّا في نفس أديب وهب الله له استعدادا سليما في تعرّف وجوه الشّبه الدّقيقة بين الأشياء وأودعه قدرة على ربط المعاني وتوليد بعضها من بعض إلى مدى بعيد لا يكاد ينتهي.

وسرّ بلاغة الاستعارة لا يتعدّى هاتين النّاحيتين، فبلاغتنا من ناحية اللّفظ أنّ تركيبها يدلّ على نتاسي التّشبيه، ويحمّلك عمدا على تحمّل صورة جديدة تنسيك روعتها ما تضمّنه الكلام من تشبيه خفي مستور[3].

فبلاغة الاستعارة من حيث الابتكار وروعة الخيال، وما تحدثه من أثر في نفوس سامعيها،فهو مجال فسيح للإبداع، وميدان لتسابق المجيدين من فرسان الكلام.

أنظر إلى قوله عزّ شأنه في وصف النّار: ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ٨ ﴾[4]

ترتسم أمامك النّار في صورة مخلوق ضخم بطّاش مكفهرّ الوجه عابس يعلّي صدره حقدا وغيظا.[5]

---

(1)عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة في علم البيان ، ص : 203 .

(2)الصافات.

(3)الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 98 .

(4)الملك .

(5)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، مرجع سابق ، ص : 99 .

رابعا : الكناية :

ـ يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني " وإنّك إذا سمعتهم يقولون إنّ من شأن هذه الأجناس أن تكسب المعاني مزية وفضلا، وتوجب لها شرفا ونبلا ، وأن تفخمها في نفوس السامعين ، فإنهم لا يعنون أنفس المعاني التي يقصد المتكلم بخبره إليها كالقرى والشجاعة والتردد في الرأي ، وإنما يعنون إثباتها لما تثبت له ويخبر بها عنه ، فإذا جعلوا للكناية مزية على التصريح لم يجعلوا تلك المزية في المعنى المكنى عنه ، ولكن في إثباته للذي تثبت له ... إنك إذا كذبت عن كثرة القرى بكثرة رماد القدر كنت قد أثبت كثرة القرى بإثبات شاهدها ودليلها "[1].

كما أن عبد القاهر بحث الكناية في عدة مواضع ، فمما قال : " والمراد من الكناية ههنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني ، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ، ويجعله دليلا عليه ، مثال ذلك قولهم " هو طويل النجاد " يريدون طول القامة و " كثير رماد القدر " يعنون كثير القرى ، وفي المرأة " نؤوم الضحى " ، والمراد : أنها مترفة مخدومة لها من يكفيها أمرها ، فقد أراد في هذا كله معنى ثم لم يذكره بلفظه الخاص به ، ولكنهم توصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود ، وأن يكون إذا كان ، أفلا ترى أنّ القامة إذا طالت طال النجاد ؟

وإذا كثر القرى كثر رماد القدر ؟ وإذا كانت المرأة مترفة لها من يكفيها أمرها ردف ذلك أن تنام إلى الضحى[2].

وقد جعل ابن الأثير الكناية جزءا من الاستعارة حيث قال : " وكذلك الكناية ، فإنها لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المُكَنَّى عنه ، ونسبتها إلى الاستعارة نسبة خاص إلى عام ، فيقال : كل كناية استعارة ، وليس كل استعارة كناية ... وقد تَقَدَّمَ القول في باب الاستعارة أنها جزء من المجاز ، وعلى ذلك تكون نسبة الكناية إلى المجاز نسبة جزء الجزء وخاص الخاص[3].

فهي إذا تقوم على علاقة خاصة بين الدال والمدلول تشي بمفهوم المراوغة ، ويتأكد ذلك من هذا البعد اللغوي حيث الكناية من " الكن وهو الستر : وإنما أجرى هذا الاسم على هذا النوع من الكلام لأنه

---

(1)عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية ، مرجع سابق ، ص : 343 .

(2)المرجع نفسه ، ص : 51 .

(3)ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ج2 ، ص : 174 .

يستر معنى ويظهر غيره ولذلك سميت كناية "[1]

وهي في الاصطلاح : " لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى "[2]

أو هي : " اللفظ الدال على معنيين مختلفين : حقيقة ومجازا من غير واسطة لا على جهة التصريح "[3].

وتنقسم **الكناية** باعتبار المكنّى عنه إلى ثلاثة أقسام، "فإنّ المكنّى عنه قد يكون صفة،وقد يكون موصوفا وقد يكون نسبة"[4]

أ- الكناية عن صفة : هي التي يطلبها نفس الصّفة ، والمراد بالصّفة هنا الصّفة المعنوية كالكرم والشّجاعة ، لا النّعت المعروف في علم النّحو، وفي هذا النّوع من الكناية يذكر الموصوف و تستر الصّفة مع أنّها هي المقصودة ، والموصوف هو الملزوم الّذي تلزم عنه الصّفة أو تلازمه ومنه تنتقل إليها . ومن لطيف هذا القسم قوله تعالى : ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾[5]، حيث كنى بالتّحيّز عن الهزيمة.

وقوله تعالى : ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾﴾[6]، كناية عن عفّة النّفس .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴿١٤٩﴾﴾[7]، أي: ولما اشتد ندمهم و حسرتهم على عبادة العجل ، لأنّ من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعضّ يده غمّا ، فتصير يده مسقوطا فيها لأنّ فاه قد وقع فيها[8].

ب – الكناية عن موصوف : وبها تذكر الصّفة و يستر الموصوف مع أنّه هو المقصود والصّفة هي اللازم من الموصوف ، ومنها تنتقل إليه وقد أكد الثعالبي على أنّ هناك كثافة في استعمال العرب

---

(1)أبو منصور الثعالبي ، الكناية والتعريض ، تحقيق ودراسة أسامة البحيري ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، (د.ط) ، 1997م ، ص : 21 .

(2)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 115 .

(3)يوسف أبو العدوس ، التشبيه والاستعارة منظور مستأنف ، ص :141.

(4)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 115-116 .

(5)الأنفال .

(6)المدثّر .

(7)) الأعراف .

(8)الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، ص : 244 .

لهذا اللون – الكناية – من التصوير القائم على قيم الانحراف والتجاوز ، حيث أورد في باب الكناية عن المرأة أنّ العرب " تكني عن المرأة : بالنعجة ، والشاة والقلوص (الناقة الشابة) ، والسّرج (الشجرة المعتدلة الطويلة) ، والحرث ، والفراش ، والعتبة ، والقارورة ، والقويصرة (وعاء القصب يوضع فيه التمر) ، والنعل ، والغل ، والقيد ، والطلة ، والجارة ، والحليلة[1].

ثم يبرز بعض هذه الصور الكنائية حيث يقول : " وَ أَمَّا الفِرَاش لقد قال الله تعالى في وصف الجنّة : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ﴾[2].

يعني النّساء ، ألا تراه يقول على إثرها : ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ﴾[3].

وفي السياق ذاته يمكن أن نرصد بعض ما يستهدف بالأسلوب الكنائي الذي يضفي بعدوله عن الأصل ظلالا خاصة ، كما يتيح صيغا من التعبير تسهم في طبيعة الإخراج الاستثنائي ، كالإيجاز في التعبير ، فالكلمة الواحدة في الكناية تحمل في طياتها معاني كثيرة يحتاج كل معنى فيها لفظا خاصا للتعبير عنه ، ومما يتيحه الأسلوب الكنائي فضيلة المبالغة التي تنتهي بالمعنى إلى أقصى ما يقصد من التعبير وهو بذلك يشكّل ترقية للفكرة التي يتضمنها الخطاب ، ويعمل على أنت يوصلها في حلة جميلة يستمرئها المتلقي مثل قوله تعالى : ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾[4]، ففي هذه الآية كناية عن موصوف هو النساء بأنّ هن ينشأن في الحلية ويرفلن في النعيم ولا شأن لهن بالاشتغال بعويص الأمور وحل المشكلات والقدرة على مواجهة الصعاب ، بل يصرفن أهمهن للتجميل وإبداء الزينة ، والولع بكل ما هو لافت وجاذب للأنظار ، ولو أن التعبير كان بلفظ النساء ، لم نشعر بشيء من قوة المعنى وشدة المبالغة[5].

---

(1)أبو منصور الثعالبي ، الكناية والتعريض ، ص : 09 .

(2) الواقعة .

(3) الواقعة .

(4)الزخرف .

(5)أبو منصور الثعالبي ، الكناية والتعريض ، ص : 51 .

جـ – الكناية عن نسبة :

ومثالها قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴿١١﴾﴾[1] على احد الوجهين وهو ان لا تجعل الكاف زائدة قيل : وهذا غاية لنفي التشبيه ، إذ لو كان له مثل لكان لمثله شيء (يماثله) وهو ذاته تعالى لما قال : " **لَيْسَ كَمِثْلِهِ** "[2]، دل على أنه ليس له مثل .

وأورد أنه يلزم منه نفيه تعالى لأنه مثل مثله ، ورد بمنع أنه تعالى مثل مثله ، لأن صدق ذلك موقوف على ثبوت مثله تعالى عن ذلك[3].

وقد يظن أنّ هناك قسما رابعا وهو أن يكون المطلوب بالكناية الوصفة والنسبة معا ، ومنه قوله تعالى : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴿٣﴾﴾[4]، إذا فسر الغيب بالغيبة ، أي : يؤمنون مع الغيبة عن حضرة النبي – ص– أو أصحابه رضي الله عنهم ، أي هدى للمؤمنين عن إخلاص لا للمؤمنين عن نفاق[5].

وقوله تعالى : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴿٥٦﴾﴾[6]، فـ(جنب الله) كناية عن نسبة توحي بتفريط الإنسان في حق الله بعدم طاعته لترك أوامره أو التقصير فيها وإتيان نواهيه وعصيانه بها[7].

ويفرض السياق العام تقفي أثر الظلال الأسلوبية من خلال نماذج بيانية أخرى ، لمزيد من الكشف عن مزية العدول ، وإن كانت لا تخرج بحال عن المنحى نفسه الذي يظل يشد إلى التوظيف الجمالي للكناية ومن أمثلة الكناية في القرآن الكريم ما يأتي :

– قوله تعالى : ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴿٧٥﴾﴾[8]

---

(1)الشورى .

(2)الشورى .

(3)الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، ص : 247 .

(4)البقرة .

(5)المرجع السابق ، ص : 247 – 248 .

(6)الزمر.

(7)أبو منصور الثعالبي ، الكناية والتعريض ، ص : 50 .

(8)المائدة .

فكنَّى بأكل الطعام عن البول والغائط إذ لابد من عملية الطرد لكل آكل ، لكنه استقبح في الآية ذكر ذلك فكنّى عنه .

وقد أنكر الكناية – في – الآية – الجاحظ ، وقال " كل الكلام على ظاهره ، ويكفي في الدلالة على عدم الإلهية أكل الطعام نفسه ، لأنّ الإله هو الذي لا يحتاج إلى شيء يأكله ، ولأنه كما لا يجوز أن يكون المعبود محدثا ، كذلك لا يكون طاعما " [1]، وقد علق ابن سنان الخفاجي على هذا القول وهذا صحيح ، ونقل الثعالبي على الجاحظ فقال الجاحظ في هذا التفسير ، وقال : " كأنهم لم يعلموا أنّ مس الجوع وما ينال أهله من الذّلة والعجز أدل دليل على أنه مخلوق ، حتّى يدّعوا على الكلام شيئا قد أغناهم الله عنه "

لكن الكناية أوقع وأدل على العرض ، لأن الكناية عن الغائط فيه تشنيع وبشاعة على ما اتخذهما آلهة.

– وقوله تعالى في الحديث عن السيدة مريم ﴿وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩١﴾[2].

يقول الزركشي : " أخطأ من توهم الفرج الحقيقي ، وإنما هو من لطيف الكنايات وأحسنها ، وهي كناية عن فرج القميص ، أي لم يعلق ثوبها ريبة ، فهي طاهرة الأثواب وفروج الأثواب وفروج القميص أربعة الكمان والأعلى والأسفل وليس المراد غير هذا، فإنّ القرآن أنزه معنى، وألطف إشارة وألمح عبارة من أن يريد ما ذهب إليه وهم الجاهل "[3].

– ويقول : ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا ٢٩ ﴾[4]، فالغل عن العنق كناية عن النحل ، وفي الكناية تصوير محسوس لهذه الصفة الذميمة ، والبسط كناية عن الإسراف والتبذير وهو تصوير له بصورة ملموسة تجعل المعنى قويا مؤثرا .

– وقوله : ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦﴾[5].

فقصر الطرف كناية عن العفة ، وأنّ نساء أهل الجنّة يقنعن بأزواجهنّ فلا يتطلعن لغيرهم .

– وقوله تعالى يمن على المسلمين بالنصر : ﴿ وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ ٢٧ ﴾[6]، ظاهر الآية دال على أنّ الأرض هي : العقارات ، والديار : المساكن ، والأموال : المنقولات ، وقوله :

---

(1)سر الفصاحة ، ص : 158 .

(2)الأنبياء.

(3)الزّركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج3 ، ص : 305 .

(4)الإسراء .

(5)الرحمن .

(6)الأحزاب.

" وأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا " يحتمل أن يكون كناية عن فروج النساء ونكاحهنّ، وهذا من جيد الكنايات ونادرها،لمطابقتها لقوله تعالى : ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴿٢٢٣﴾ ﴾[1] والحرث بما يكون في الأرض ،فلهذا ازدادت رشاقة وحسنا.

وعلى الجملة فلا نجد معنى من هذه المعاني في الكتاب العزيز يأتي إلاّ بلفظ الكناية،لأن المعنى الفاحش متى عبر عنه بلفظه الموضوع كان الكلام معيبا من جهة فحش المعنى[2].

– وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ ﴾[3].

فالأدبار جمع دُبُر وهو الخلق، ويقابله القُبُل، وهو القدام ، ويكنّى بهما عن السَّوأتين ،وتولية الأدبار كناية عن الهزيمة لأنّ المنهزم يجعل خصمه متوجها إلى دُبُرِه ومُؤخره ،وذلك أعون له على إدراكه وقتله.

والمعنى لا تولوهم ظهورهم، والعدول عن لفظ الظهور إلى الأدبار تقبيح للانهزام وتنفير منه،ففيه تصوير للفرار بصورة بشعة تشمئز منها النفس وتحفز الهمة،وتثير في النفس النّخوة[4]

وقد جاءت الكناية نفسها وكان المراد منها تشجيع المسلمين على القتال الاستبسال في محاربة اليهود،يقول تعالى ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾[5].وقوله : ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾[6]

فتولّيه الأدبار هنا كناية عن انهزام اليهود و تشجيعا على قتالهم والنّيل منهم وتصغيرا لشأنهم و تحقيرهم.

وقوله تعالى : ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾[7]

---

(1)البقرة .

(2)عبد الفتاح لاشين، البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم ، ص:257.

(3)الأنفال .

(4)المرجع السابق ، ص : 259 .

(5)آل عمران .

(6)الحشر .

(7)آل عمران.

فعض الأنامل عادة النّادم العاجز وهو كناية عن شدّة الألم والغيظ لما يرونه من ائتلاف المسلمين واجتماع كلمتهم ونصرة اللّه تعالى إيّاهم بحيث عجز أعداؤهم أن يجدوا سبيلا إلى الشفى حتّى اضطرّوا إلى مداراتهم[1].

و قال تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[2] ، فالمعنى قضى بينكم وبينهم بالمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليه والغلبة ، " كفّ الأيدي " أبلغ من منع القتال ، لأن كف الأيدي يستلزم منع القتال بالدليل .

وقوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾[3] ، فقد كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدي منك، كنى بالبهتان المفتري بين يديها ورجليها عن الولد الذي تلصقه بزوجها كذبا، لأنّ في بطنها الذي تحمله فيه بين اليدين ومخرجه بين الرجلين[4].

وقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴿٤٢﴾﴾[5]، فتقليب الكفين كناية عن التحسر والندم على ضياع جهده وماله .

وقوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[6].

فالسقوط في اليد كناية عن الندم ، لأنّ شأن النادم أن يعطي يده فيسقط فمه فيها ، وكان قوم موسى قد ندموا عن عبادتهم العجل[7].

وقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِىٰ ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾[8]

---

(1)عبد الفتاح لاشين،البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم ، ص:259.

(2)الفتح .

(3)الممتحنة .

(4)الزمخشري ، الكشاف ، ص : 410.

(5)الكهف.

(6)الأعراف .

(7)عبد الفتاح لاشين،البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم ، ص:260 .

(8)الفرقان .

يهاجم ابن قتيبة بعض المفسرين حيث ذهب فريق من المتسمين بالمسلمين على حد تعبيره إلى أنه رجل بعينه ، وقالوا : لم كنّى عنه ؟ وإنّما يكنّي هذه الكناية من يخاف المبادأة ، ويحتاج إلى المداجاة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[1]

فالمراد بقوله (لما جاءه) أنه سفيه الرأي يعني لم يتوقف في تكذيب وقت ما سمعه ، ولم يفعل المراجيح العقول ، المتثبتون في الأشياء ، فإنّ من شأنهم إذا ورد عليهم أمر أو سمعوا خبرا أن يستعملوا فيه الرؤية والفكر، ويتأنوا في تدبره إلى أن يصح لهم صداقة أو كذبة [2].

مما سبق يتضح لي أنّ الكناية : مظهر من مظاهر البلاغة وغاية لا يصل إليها إلا من لطف طبعه وصفت قريحته ، والسر في بلاغتنا أنها في صور كثيرة تعطيك الحقيقة مصحوبة بدليلها والقضية وفي طيّها برهانها .

ومن خواص الكناية أنّها تمكنك من أن تشفي غلتك من خصمك من غير أن تجعل له سبيلا ؛ ودون أن تخدش وجه الأدب وهذا النوع يسمى التعريض .

ومن أسباب بلاغة الكناية تضع لك المعاني في صور المحسنات ، ولاشك أنّ هذه خاصة الفنون فإنّ المصور إذا رسم لك صورة الأمل أو اليأس بهرك وجعلك ترى ما كنت تعجز عن التعبير عنه واضحا ملموسا [3].

ومن أوضح ميزات الكناية التعبير عن القبيح بما تسيغ الآذان سماعه ، وأمثلة ذلك كثيرة جدا في القرآن الكريم وكلام العرب كما ذكرتُ سابقا ، فقد كانوا لا يعبرون عمّا لا يحسن ذكره إلّا بالكناية ، وكانوا لشدة نخوتهم يكنون عن المرأة بالبيضة والشاة وغير ذلك ...

وأستخلص من هذا كله أنّه في دراسة علم البيان يظهر لي أنّ معنا واحدا يُستطاع أداؤه بأساليب عدة وطرائق مختلفة ، وأنه قد يوضع في صورة رائعة من صور التشبيه ، أو الاستعارة ، أو المجاز المرسل أو العقلي ، أو الكناية .

هذا بالنّسبة لعلم البيان وما يحتويه من ظواهر أسلوبية وعدولية ، أمّا علم البديع فسأتطرّق إلى ذكر عدّة ظواهر والتي من خلالها يتجسّد العدول مع التّمثيل لكلّ ظاهرة بنماذج تطبيقية من القرآن الكريم وأهم هذه الظواهر: الجناس، التورية والتّجريد.

---

(1)العنكبوت .

(2) عبد الفتاح لاشين،البيان في ضوء أساليب القرآن الكريم ، ص:261 .

(3) علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 124.

علم البديع :

عرفت فيما سبق أنّ علم البيان وسيلة إلى تأدية المعنى بأساليب عدة بين مجاز واستعارة وتشبيه وكناية ، وعرفت أنّ علم المعاني يعين على تأدية الكلام مطابقا لمقتضى الحال مع وفائه بغرض بلاغي يفهم ضمنا من سياقه وما يحيط به من قرائن .

وهناك ناحية أخرى من نواحي البلاغة ، لا تتناول مباحث علم البيان ، ولا تنظر في مسائل علم المعاني ، ولكنّها لا تتعدى تزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي ، ويسمى العلم الجامع لهذه المباحث بعلم البديع [1]، وهو علم يبحث في طرق تحسين الكلام ، وتزيين الألفاظ والمعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي أو المعنوي ، وسمي بديعا لأنّه لم يكن معروفا قبل وضعه ، وأوّل من دوّن قواعد البديع ووضع أصوله : عبد الله ابن المعتز ، وهو أحد الشعراء المطبوعين والبلغاء ، وقد استقصى ابن المعتز ما في الشعر من المحسنات فجمعا في كتاب سمّاه " البديع " وذكر فيه سبعة عشر نوعا ، وقال : ما جمع قلبي فنون البديع أحد ، ولا سبقني إلى تأليفه مؤلف ، ومن رأى إضافة شيء من المحاسن فله اختياره ، ثمّ ألف معاصره قدامة بن جعفر كتابا سمّاه " نقد قدامة "[2].

وقد ورد لفظ البديع في القرآن الكريم بمعنى : جمال المنشأ وحسن البدء على غير مثال.

قال تعالى:﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾[3].

وقال أيضا : ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾[4]".

وقد عرفه الخطيب القزويني (ت 78هـ) بقوله : " هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة"[5].

---

(1)علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة ، ص : 243 .

(2)الخطيب القزويني ، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، ص : 03-05 .

(3)الأنعام .

(4)البقرة .

(5)عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ط) ، 1419 هـ – 1999 م ، ص: 13 .

والبديع في رأي الزمخشري ليس علما قائما بذاته أي أنّه تابع للمعاني والبيان وذلك في قوله : " وأمّا البديع فهو في رأي الزمخشري تابع للمعاني والبيان ، و ليس علما قائما بذاته"[1].

فالبديع لغة جاء في لسان العرب: " بدع الشيء يبدعه بدعا و ابتدعه : أنشأه و بدأه و بدع الركية : استنبطها و أحدثها و ركي بديع ، حديث الحفر ، و البديع و البدع : الشيء الذي يكون أولا . و في التنزيل : قل ما كنت بدعا من الرسل ، أي ما كنت أول من أرسل قد أرسل قبلي رسل كثير " [2]. ثم إنّ لها أيضا علاقة بالمدلول الاصطلاحي حيث البديع :" هو النظر في تزيين الكلام بنوع من التنميق : إما بسجع يفصله ، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه ، أو ترصيع يقطع أوزانه ، أو تورية عن المقصود بإيهام معنى أخفى منه ، لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد و أمثال ذلك يسمى عنده علم البديع[3].

إنّ الأمر الذي يتأكد لي و أنا أقارب في قراءة جمالية لهذا القسم من البلاغة ، هو أنّ البديع علم يوشى به الكلام بأوجه من الحسن ، و من أهم أساليب هذا العلم علم البديع الجناس ، التورية و التجريد و ... و هو يشتمل على محسنات لفظية ، و محسنات معنوية،و إنّي ذاكرة لك من كل قسم طرفا .

و لا أقول أنّ المحسنات البديعية تتأتى فقط من خلال قيم الانحراف و العدول ، ذلك أنّ الكثير منها لا يقوم أصلا على هذه المزية الفنية الأسلوبية .

تتنوع المحسنات البديعية إلى نوعين :

1- المحسنات اللفظية : و هي التي يكون التحسين فيها راجعا إلى اللفظ أولا و بالذات، و يتبعه تحسين المعنى ثانيا و يميز هذا النوع عن الآخر بأنه لو غير أحد اللفظين بما يرادفه لزال ذلك المحسّن[4]، و من أهم المحسنات اللفظية الجناس .

<u>أوّلا : الجناس :</u>

يعد الجناس ابرز المحسنات اللفظية و أثرها نيلا لعناية البلاغيين قيما و حديثا ، و قد ظهرت هذه العناية و تجلت في كتب و مؤلفات كثيرة والتي حرصت على دراسة وإلقاء الضوء على أقسامه المختلفة ، وإبراز قيمته الفنية والجمالية وأثره في التعبير الأدبي .

وقد تعدت أسماء الجناس في المؤلفات البلاغية فهو الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس .

---

(1)الزمخشري محمود بن عمر ، الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج3 ، ص : 203 .

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، ج1 ، ص :06.

(3) ابن خلدون ، المقدّمة ، دار الكتاب اللّبناني ، بيروت ، ط2 ، 1979 م ، ص : 1066 .

(4)انظر : عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم، ص :158 .

أ –1 – تعريفه لغة : مأخوذ من كلمة الجنس ، وهي كما شرحها الصحاح ولسان العرب والمحكم : الضرب من كل شيء ، وهو أعم من النوع .[1]

أ – 2 – اصطلاحا :

تعددت تعريفات البلاغيين وتنوعت تنوعا ملحوظا ، ومن أبرز من قاموا بتعريف الجناس :

– ابن المعتز (ت 296 هـ) حيث قال : " هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر أو كلام ومجانسة لها أن تشبهها في تأليف حروفها " .

– أبو هلال العسكري (ت 395 هـ) عرفه بقوله : " التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها ، قيمته ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظا واشتقاق معنى ، ومنه ما يجانسه في تأليف الحروف دون معنى "[2]

الجناس من الحلى اللفظية والألوان البديعية التي لها الألوان البديعية التي لها تأثير بليغ يجذب السامع ، وتحدث في نفسه ميلا إلى الإصغاء والتلذذ بنغمته العذبة ، وتجعل العبارة على الأذن سهلة ومستساغة ، فتجد من النفس القبول ، وتتأثر به أي تأثير ، وتقع من القلب أحسن موقع .

حين يذكر اهتمام الإمام عبد القاهر الجرجاني بالمحسنات اللفظية يجب الانتباه إلى أنّه لا يقف عند معالمه السطحية المرتبطة بالإيقاع على أهميته ، إنما يتعمق الظاهرة كاشفا عن كنهها ، رابطا ذلك كله بقدرتها على التعبير تحمله النفس البشرية من مشاعر وذلك لما يتناول المحسنات ليس بغرض الكشف عن معالم الحسن ، بل لمحاولة البحث عن : " المعاني الإضافية التي تشتمل عليها الأساليب ... ولهذا أجمل في مقدمة (الأسرار) النظرية التي توصل إليها في (دلائل الإعجاز) والتي تأبى أن تكون الألفاظ من حيث هي ألفاظ مزية ذاتية في الكلام ، فالشأن دائما للتراكيب وصورة نظمها وتأليفها "[3]

أستطيع من خلال هذا النّص ، أن أنتهي إلى أنّ الذي يعطي التّجنيس من الفضيلة أمر لا يهتم إلاّ بنصرة المعنى ، إذ لو كان اللّفظ وحده لما كان مستحسن فيه ، وقد راج عبد القاهر الجرجاني يثبت أنّ

---

(1)بكري شيخ أمين ، علم البديع البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، دار العلوم للملايين ، بيروت ، (د.ط) ، ج2 ، 2003م ، ص : 131 .

(2)محمد أبو شوارب أحمد المصري ، قطوف بلاغية ، دار الوفاء ، الاسكندرية ، ط1 ، 2006 م ،ص : 229 .

(3)بكري شيخ أمين ، علم البديع البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، مرجع سابق ، ص : 26.

الجمال في الجناس لا يرجع إلى جمال الألفاظ من حيث هي، وإنّما يعود ذلك إلى إيهامك أنّه بالكلمة الثانية لم يسمعك إلاّ حروفا مكرورة لا تجد لها فائدة " وإن وجدت فهي متكلفة متمحلة "[1].

ومن خلال هذه التعريفات نرى أنّ البلاغيين يتفقون على أنّ الجناس يتفق ركناه لفظا ويختلفان معنى .

ب – أقسام الجناس :

ينقسم الجناس إلى قسمين : جناس تام ، وجناس غير تام .

ب–1– الجناس التام : وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة هي: نوع الحروف ، وشكلها ، وعددها ، وترتيبها[2]، وهو بدوره ينقسم إلى ثلاثة أقسام : الجناس التام المركب ، الجناس التام المستوفى ، الجناس التام المماثل .

ب–1–3– الجناس التام المماثل : وهو أن يكون لفظا الجناس منه نوع واحد ، أي أن يكون اسمين أو فعلين أو حرفين .

فالاسمان كقوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [3] .

ب–2– الجناس غير التام : وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة [4] ، وهو أنواع :

---

(1)عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، تحقيق محمد رضوان الداية وفايز الداية ، ص :402 .

(2) علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 243.

(3) الروم .

(4) علي الجارم ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، ص : 243.

ب-2-1- الجناس الناقص : وهو ما اختلف اللفظات في العدد ، كقوله تعالى : ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [1]، فكلمة مساق زادت حرفا واحدا في أولها وهو " الميم " عن كلمة ساق .

وقوله تعالى : ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾﴾ [2] ، فكلمة يولد زادت حرفا واحدا في وسطها وهو : " الواو" عن كلمة يلد .

ب-2-2- الجناس المصحف : ما تماثل اللفظان في الخط ، وتخالفا في النقط كقوله تعالى : ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [3] .

وقوله : ﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [4] .

ب-2-3- الجناس المحرف : ما تماثل اللفظان في الحروف وتغايرا في الحركات ، كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [5]

ب-2-4- الجناس المقلوب : ما تساوت حروف ركنين عددا ، وتخالفت ترتيبا ومثاله قوله تعالى : ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾﴾ [6]

ب-2-5- الجناس المضارع : وهو اختلاف الكلمتين في نوع الحروف كقوله تعالى : ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ [7]

---

(1)القيامة .

(2) الإخلاص .

(3) الكهف .

(4) الشعراء .

(5) الصافات .

(6)طه .

(7)الهمزة .

وقوله : ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [1]

وقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ﴿٨٣﴾ ﴾ [2]

وقوله : ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ [3]

وقوله أيضا : ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ ﴾ [4]

وعليه للجناس قيمة فنية لا تنكر في إثراء الإبداع الأدبي وقد اكتسب الجناس هذه القيمة نتيجة تضافر مجموعة من العوامل يأتي في مقدمتها :

– يتميز الجناس بإيقاع موسيقي تطرب له الآذان ، وتهتز له أوتار القلوب نتيجة ذلك التكرار الذي يسمح بتكثيف جرس الأصوات .

– يسهم الجناس في إثراء الخيال ويجذب الانتباه .

– لكي يكتسب الجناس قيمته الفنية لابد له أن يكون غير متكلف ولا مصنوع ، ويكون المعنى يقتضيه والمقام يستدعيه وله أثر جليل في الأسلوب .

2 – المحسّنات المعنوية : وهي التي يكون التّحسين فيها راجعا إلى المعنى أوّلا وبالذّات، ويتبعه تحسين اللّفظ ثانيا وبالعرض ، ويعرف هذا النّوع من الآخر بأنّه لو غيّر اللفظ بما يرادفه لبقى المحسّن كما كان قبل التّغيير. مثل التّورية والتّجريد .

2 – أ – التّورية :

لغة : مصدر وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره [5]

اصطلاحا : أن يذكر لفظ له معنيان ، أحدهما قريب ظاهر غير مراد ، و الآخر بعيد خفي هو المراد بقرينة ، ولكنّه ورى عنه بالمعنى القريب ، فيتوهّم السّامع لأوّل وهلة أنّه مراد ، ولهذا اللّون من التّعبير مسمّيات كثيرة الإيهام ، التّخييل ، المغالطة ، التّوجيه ، ولأجل هذا سمّيت التّورية " إيهاما وتخييلا "[6]؛ أي أنّها : أن يذكر المتكلّم لفظا مفردا له معنيان أحدهما : قريب ـ لكنّه غير مقصود ، والثّاني بعيد يحتاج إلى إعمال الذّهن ولكنّه هو

---

(1)غافر .

(2)النساء .

(3)العاديات.

(4)المدثر.

(5)أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص : 218 .

(6)المرجع نفسه ، ص : 217 – 218

المقصود.

وقد قسّمها بعض البلاغيين إلى أربعة أنواع هي : مجرّدة ، ومرشّحة ، ومبيّنة ، ومهيّأة.

ولكنّي أكتفي بتقسيم القزويني لها إلى قسمين هما : مجرّدة ومرشّحة.

أمّا **المجرّدة** : وهي تتجرّد عمّا يلاءم كلا من المورى به والمورى عنه ،كما في قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ﴿٦٠﴾﴾ [1]، أراد بقوله "جرحتم" معناه البعيد وهو ارتكاب الذّنوب [2]

وقوله تعالى : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [3] ، فالتّورية هنا في كلمة "استوى" والاستواء على معنيين : أحدهما الاستقرار في المكان ، وهو المعنى القريب المورى به غير المقصود ، والثّاني هو الاستيلاء والملك ، وهو المعنى البعيد المورى عنه وهو المقصود لأنّ الرّحمان سبحانه منزّه عن المعنى الأوّل . ولم يُذكر من لوازمه هذا أو ذاك شيء[4].

أمّا **التّورية المرشّحة** : هي التي تتضمّن ما يلائم المورى به إمّا قبل التّورية أو بعدها

ومثال ذلك قوله تعالى متحدّثا عن قدرته وسمو عظمته : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [5] فـ "اليد" في الآية لها معنيان : أحدهما وهوالمعنى القريب الجارحة وهذا المعنى البعيد الّذي يدرك بعد التّأمل هوالقدرة وهو المراد ، فاليد لها معنيان أحدهما قريب وهو غير مراد والآخر بعيد وهو المراد وقد وري عن المعنى البعيد بما يناسب المعنى القريب.[6]

2 – ب – التّجريد :

لغة: هو إزالة الشيء عن غيره .

اصطلاحا: أن ينتزع المتكلّم من أمر ذي صفة أمرًا آخر مِثله في تلك الصّفة ، مبالغة في كمالها في المنتزع منه ، حتّى أنّه قد صار منها بحيث يمكن أن ينتزع منه موصوف آخر بها [7].

---

(1)الأنعام.

(2) أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص : 218 .

(3) طه .

(4) محمود أحمد حسن المراغي ، في البلاغة العربية علم البديع ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، (د.ط) ، 1999 م ، ص : 77 .

(5) الذّاريات .

(6)عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم ، ص :111 .

(7)أحمد الهاشمي ، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ص : 225 .

ومثاله:

قوله تعالى﴿ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [1] فجهنّم هي دار الخلد ، لكنّه جرد من جهنّم دار أخرى هي دار الخلد وجعلها مُعَدَّة في جهنّم لأجل الكفّار ، تهويلا لأمرها ومبالغة في شدّتها[2].

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ ﴾وعليه فالحديث عن ظاهرة التّجريد ، يقود إلى تأكيد مفاده معرفة البلاغة العربية ، إن على مستوى النّظرية ، أو على مستوى التّطبيق ، بمظاهر العدول في تحليل أسلوبي يبرز القيم الفنّية التي من شأنها الإسهام في تقوية الشّعور بأدبية اللغة وجماليّتها ، عندما تمكّن من فسح الطّريق أمام المبدع . فأصل الكلام يقتضي الانطلاق بلسان المتكلّم ، أمّا التّجريد فهو عدول عن هذا الأصل.

تأسيسا على ما تقدّم يمكن القول أنّ للانزياح الدّلالي حيّز كبير في الدّراسات اللّغوية وله حظ في بحثي هذا بيد أنّني لم أنظر للصّور البيانية (من مجاز واستعارة وتشبيه وكناية ومجاز مرسل) والمحسّنات البديعية (الجناس والتّورية والتّجريد) النّظرة التي تكاد تطغى على الكتب البلاغية باستثناء البعض وإنّما حاولت من خلالها الوصول إلى معنى المعنى كما فعل ذلك "الجرجاني" وآخرون مع فتح فرص للمتلقي في المشاركة باعتباره سامعا أو قارئا ، مع نماذج تطبيقية لكل ظاهرة أتوقّف عندها من القرآن الكريم .

---

[1] فصلت .

[2] عبد الفتاح لاشين، البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم ، ص : 122 .

خـاتمة

خاتمة

من على شرفة ما تقدم من البحث ،يمكن الخلوص إلى مجموعة من النتائج المختلفة التصنيف والتي كانت ثمرة هده المحاولة في رصد ظاهرة العدول في القران الكريم ،ولما كان الأمر كذلك – اختلاف النتائج – كان لزما عليا إن اقسمها إلى نوعين من النتائج :

-نتائج عامة ونظرية متعلقة بالبلاغة والأسلوبية والدراسات القرآنية.

- نتائج خاصة تتعلق بظاهرة العدول والتي توصلت إليها من خلال الفصول.

أولا:النتائج العامة :

1-أهمية القران الكريم والدراسات القرآنية في إثراء الدرس الغوي العربي القديم.

2- ثراء المادة البلاغة التي وجدتها ظاهرة العدول في التراثي البلاغي العربي القديم مما يدعم القول بوجود صلات وملامح ومقاربات لهده الظاهرة في تراثنا ، وان اختلفت في المصطلحات والمنهج كما هو ألان في الدراسات الأسلوبية الحديثة .

3- أهمية الدراسات الأسلوبية عامة وظاهرة العدول خاصة في توجيه المعنى وانتقال من دراسة المعنى إلى معنى المعنى .

4- وجود مقاربة بين المفاهيم التداولية الحديثة وبين فكرة *مقتضى الحال * في البلاغة العربية ، وهي التي أنتجت المقولة الشهيرة *لكل مقام مقال *.

ثانيا:النتائج الخاصة:

1-من خلال الوقفة التي كانت بهذا البحث اتضح إن هناك ملامح وصلات لظاهرة العدول في الدرس البلاغي العربي القديم ، ولكنها لم تردد بهذا المصطلح أي العدول وإنما في ثنايا مصطلحات عديدة ، كالانزياح ، الانحراف ، الخرق ، المجاز، الغلط ، الإحالة ، الاتساع ..... ، وكلها ألفاظ تصب مفاهيمها في ظاهرة العدول بشكل أو بأخرى تتسع أو تضيق، معنى دلك عدم وجود مصطلحات يتطابق مع مصطلح العدول –بالمفهوم الحديث- تطابقا كليا ليبقى مجال الخصوصية والتميز مفتوحا.

2- إن ظاهرة العدول ظهرت بجلاء عند اللغويين والنقاد الغربيين المحدثين ،وان اختلفت منطقاتهم وتسميتهم للظاهرة ،مما أوجه حملة من المصطلحات تعبر عن الواقع العرضي مثل المخالفة ، الانتهاك ، الانحراف ، خرق الفن .....

3- وجود انزياحات لغوية ومعجزات لغوية ، وهده الأخيرة نتوصل إليها انطلاقا من النص إما خارجه فهي معجزات ربانية ومن ثم كانت اللغة هي العامل الأساسي في إنتاج العدول وعليه يمكن القول إن للغة سلطان.

4- ليس كل خروج عن العادة أو ضرورة يشكل ظاهرة عدولية ما لم يحقق سمة جمالية بمعنى ليس كل عدول خاصية أسلوبية .

5- أثبتت الدراسة التطبيقية لهدا البحث أن العدول يحدث في كل مستويات اللغة الصوتية ، الصرفية، النحوية ، والدلالية بالإضافة إلى الجانب التداولي .

6- إن إيراد صيغة بدل صيغة أخرى يعد عدولا صرفيا له دلالته.

7- اعتبار كل زيادة في المبنى – والزيادة هنا بالمعنى النحوي – يؤدي إلى زيادة في المعنى ، وكل حذف في المبنى بالمعنى النحوي أيضا للحذف يؤدي دلالة أقوى .

8- إن القران الكريم يحفل بالكثير من القيم التداولية ، بل هو النص الأكثر مراعات لمقتضى الملكات النفسية – المقام – التي لا يراعيها الا خالقها ، وهنا يمكن التفوق والمعجزة البيانية للقران الكريم .

هدا بالإضافة إلى وجود نتائج أخرى جزئية مبثوثة في ثنايا البحث وفصوله يستشفها القارئ أثناء اطلاعه على البحث .

وجماع الأمر بعد هده الوقفة التي كانت للبحث يمكن القول ان ظاهرة العدول موجودة بشكل كبير في القران الكريم والنصوص النثرية والشعرية .....وهي ظاهرة جد مهمة لأنها تتعلق أساسا بالجانب الدلالي للغة باختلاف المستويات التي تحدث فيها الظاهرة ويبقى المجال مفتوحا لمزيد من الدراسات من هدا النوع في كل النصوص وخاصة النص القرآني باعتباره الأفق البياني المستحيل الذي لا يسع أي بليغ إدراكه ، وحتى في بعض الآيات من الذكر الحكيم ذاتها فلا ازعم لنفسي إني وفيتها قدرها ، لان هدا النوع من الدراسات يوصلنا إلى معنى المعنى وهو المراد من كل دراسة.

لقد أبان هدا البحث في جانبه التطبيقي ، أن جمالية الأساليب العدولية ، من جمالية المقاصد المرجوة ، وقد ظهر لي دلك بجلاء في الحديث عن علم المعاني ، والمجاز ، وصيغ التصوير المختلفة ، وفي محاولة تتبعي للمعنى من وراء ألوان بديعية مختلفة بحثا عن المعاني الثواني المحققة لأدبية الأدب.

قـائـمـة

المصـادر والمراجـع

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم: برواية الامام حفص عن نافع، طريق الأزرق (مدونة البحث).

المراجع:

أ -الكتب:

1- ابن الاثير ابو الفتح ضياء: المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر ،تحقيق احمد الحوفي ويدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة، ط1,1959م.

2-احمد الهاشمي : جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان، ط1 ، 1418 ه -1998م .

3-احمد ابوحاقة: البلاغة والتحليل الأدبي ،دار العلم للملايين ،بيروت، ط2، 1993م.

4-احمد احمد بدوي: من بلاغة القران ، دار النهضة مصر للطبع والنشر ،القاهرة ،(د.ط)، 1950م.

5- احمد محمد ويس :

-الانزياح في التراث النقدي والبلاغي ، اتحاد الكتاب والعرب ، دمشق، سوريا ،(د.ط) ،2002م.

-الانزياح من متطور الدراسات الأسلوبية ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، ط1، 2005م.

6- احمد مطلوب : معجم النقد العربي التقديم ،دار الشؤون الثقافية ،بغداد ،ط1 ،1989م.

7- أسامة عبد العزيز جاب الله : أسلوب التقديم والتأخير رؤية إجمالية ،دار ومكتبة الإسراء للطبع والنشر ،فلسطين ،(د.ط)، 2009م.

8- أمال فوزي محمد أمين : تطبيقات في علم البيان : دار المعرفة الجماعية ، الإسكندرية ،(د.ت.ط).

9- بكري شيخ أمين : علم البديع البلاغة العربية في ثوبها الجديد ،دار العلوم للملايين، بيروت ،(د.ط) ، 2003 م.

10- تمام حسان : البيان في رائع القران ، دراسة لغوية وأسلوبية للنص ألقراني ،عالم الكتب ، القاهرة ،ط1، 1993م.

11- ابن جني أبو الفتح عثمان : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ،بيروت ، لبنان ،(د.ت).

12- جون كوهيني : بنية اللغة الشرعية ،ترجمة محمد الوالي ومحمد ألمعمري ، دار توبقال للنشر ،المغرب ، ط1 ، 1986م .

13- جون لاينز : اللغة والمعنى والسياق ،ترجمة ، عباس صادق الوهاب ،دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،ط1، 1987 م.

14-حسن طبل : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ،دار الفكر العربي ،القاهرة،(د.ط) 1998م.

15- حسن منديل المعكيلي ،الإعجاز القرآني في أسلوب العدول عن النظام النحوي والبلاغي ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان ،ط1 ، 2009م.

16- حمادي صمود : التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره ،منشورات الجامعة التونسية ،(د.ط)،1981م.

17- ابن خلدون : المقدمة ، دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،ط2 ، 1979م.

18- الزركشي بدر الدين محمد ابن عبد الله : البرهان في علوم القران ،تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ،بيروت ، لبنان ،ط2 ، 1927م.

19- الزركشي بدر الدين محمد عبد الله : البرهان في علوم القران ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، (د.ط) ، 1408ه-1988م.

20- ابن سنان لخفاجي : سر الفصاحة ، تحقيق علي نودة ،مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1932م.

21- سبويه : الكتاب ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل ،بيروت ، ط1 ، 1991م.

22- شفيع السيد : الاتجاه الأسلوبي في النقد العربي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ط) ،1986م.

23- طالب محمد إسماعيل الزوبعي : من أساليب التعبير القرآني ، دراسة لغوية وأسلوبية في ضوء النص القرآني ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، إصدارات الجوهر ، بيروت ، ط1 ، 1990م.

24- طاهر سليمان عودة : ظاهر الحذف في الدرس اللغوي ، الدار الجامعية للطباعة والنشر ، (د.ت.ط)

25- عبد الحكيم راضي : نظرية اللغة في النقد العربي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ،(د.ط) ، 1980م.

26- عبد السلام المسدي :

-اللسانيات وأسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د.ط) ، أوت 1986م.

-الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب ،تونس ،ط2 ،1982 م.

قضايا العلم اللغوي، الدار التونسية للنشر، تونس، (د.ط)، 1994م

27- عبد الغزير عتيق :

-علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، (د.ت.ط).

-علم المعاني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط2، 1970م.

28- عبد الفتاح لاشين:

- البديع في ضوء أساليب القران ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د.ط) ، 1419ه- 1999م.

- البيان في ضوء أساليب القران الكريم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2 ، 2000 م.

29- عبد القادر حسين: القران والصور البيانية، دار النهضة مصر، القاهرة، (د.ت.ط).

30- عبد القادر الجرجاني :

-أسرار البلاغة، تحقيق محمد رشيد رضا، دار المطبوعات العربية للطباعة العربية (د.ت.ط) .

-أسرار البلاغة في علم البيان ، صححه وعلق على حواشيه محمد رشيد رضا ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ، (د.ت.ط).

-دلائل الإعجاز، تحقيق السيد الإمام محمد رشيد رضا، قراه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط3 ، 1992م.

دلائل الإعجاز : تحقيق محمد رضوان الداية فايز الداية ،دار الفكر، دمشق ، سوريا ،ط1 ، 2008م.

31- عبد الله احمد لنسقي : تفسير النسقي ، مدارك الترتيل وحقائق التأويل ، تحقيق محمد مروان الشعار ، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1416ه - 1996م.

32- عثمان أبو زيد : نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية ، عالم الكتب الحديث ،ط1 ، 2010م .

33- عز الدين إسماعيل : بحث ضمن كتاب قراءة جديدة لتراثنا النقدي (جماليات الالتفات) النادي الأدبي الثقافي ، جدة (د.ط) ، 1990م.

34- عز الدين عبد العزيز: الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، دار الطباعة العامرة، (د.ط) ، 1313ه .

35- علي أبو القسام عون : بلاغة التقديم والتاخير في القران الكريم ، دار المدار الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2006م.

36- علي الجارم ومصطفى أمين : البلاغة الواضحة البيان والمعاني والبديع ، المكتبة العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2006م .

37- علي مهدي زيتون: إعجاز القران وأثره في تطور النقد الأدبي، دار المشرق، بيروت، (د.ط) ، 1992م.

38- عمار ساسي : الأعجاز البياني في القران الكريم ، دراسة نظرية في الآيات المحكمات ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، ط1 ، 2007م .

39- عمر الملحويش : اثر البلاغة في تفسير الزمخشري ، مطبعة دار البصري ، بغداد ، (د.ط)، 1970م.

40- عوض محمد القويزي : المصطلح النحوي نشأتة وتطوره ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط2 ، 1983م.

41- غازي يموت : علم اساليب البيان ، دار الفكر اللبناني ،بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1995م.

42- كمان الدين البحراني: أصول البلاغة، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين بكلمة البنات،جامعة الأزهر ، دار الشروق ، تونس ، (د.ت.ط) .

43- محمد أبوا شوارب احمد المصري: قطوف بلاغية، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1 ، 2006م

44- محمد احمد قاسم ومحي الدين ديب : علوم البلاغة ، المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس، (د.ط)، 2003م.

45- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس (د.ت.ط) .

46- محمد بن عبد الرحمان المعروف بالخطيب القز ويني: الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه – 2003م.

47- محمد بن علي بن محمد لشوكاني : فتح القدير، الجامع بين فتي الرواية والدراية في علم التفسير ، مراجعة يوسف الغوش، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، 1996م.

48- محمد بن يزيد الازدي أبو العباس المبرد : الكامل في اللغة والأدب والنحو والتصريف ، تحقيق زكي مبارك واحمد محمد شاكر ألبابي الحلبي ، مصر ، ط1 ، 1936م.

49- محمد الخطابي : لسانيات النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1991 م

50- محمد الرازي فخر الدين الفخر الرازي : التفسير الكبير ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ط) ، 1401- 1981م.

51:محمد شكري عياذ : اللغة والإبداع ، مبادئ علم الأسلوب العربي ، انثر ناسيونال بيرس ، ط1 ، 1988م.

52- محمد عبد المطلب :

-البلاغو والاسلوبية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، مصر ، (د.ط) 1984م.

جدلية الإفراد والتركيب : الشركة المصرية العالمية للنشر ، مصر ، ط1 ، 1994م.

53- محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الجبل، بيروت، لبنان، ط8، 1995م.

54- محمود احمد حسن المراغي، في البلاغة العربية علم البديع ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ،(د.ط) ، 1999م.

55- محمود بن عمر: الكشاف عن حقائق الترتيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، (د.ت.ط) .

56- مختار عطية: التقديم والتأخير ومباحث التراكيب بين البلاغة والأسلوبية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، (د.ت.ط).

57- مصطفى الصاوي الجويني : البلاغة العربية تأصيل وتجديد ، منشات المعارف بالإسكندرية، مصر (د.ط)، 1985م.

58- مصطفى شاهر خلوف : أسلوب الحذف في القران الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، دار الفكر ، ط1 ، 2009م.

59- مصطفى شريقن : أسلوب الالتفات في القران الكريم وأثره في المعاني والإعجاز ، دار الفكر ط1 ، 1430ه – 2009م.

60- أبو منصور الثعالبي ، الكناية والتعريض، تحقيق ودراسة أسامة البحيري ، مكتبة الغانجي القاهرة ، (د.ط)، 1997م.

61- منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، منشأة المعارف الإسكندرية، مصر، (د.ط)، 1988م.

62- ابن ناضم : المصباح في المعاني والبيان والبديع ، تحقيق عبد الحميد الهنداوي ، منشورات محمد علي ، دار الكتب ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2001م.

63- ابن هشام عبد الله بن يوسف جمال الدين أبو محمود: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر بيروت ط5 ، 1979م.

64- أبو هلال العسكري : الصناعين ، تحقيق علي محمد البجاوي محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ،صيدا بيروت ، (د.ط) 1986م.

65- الواد حسين : في مناهج الدراسة الأدبية ، سراس للنشر ، تونس ، (د.ط) ، 1985م.

66- يحي بن معطي : البديع في علم البديع، مراجعة الدكتوراه مصطفى الصاوي الجويني ، دار المعرفة الجامعية ، (د.ط) ،1996م.

67- يوسف أبو العدوس :

-التشبيه والاستعارة منظور مستأنف، دار المسيرة، عمان، الأردن، ط1، 1427ه- 2007م.

-المجاز الرسل والكناية ، الإبعاد المعرفية والجمالية الأهلية للنشر والتوزيع ، لبنان ، ط1، 1998م.

ب- المعاجم :

1- أبو حيان: البحر المحيط، تحقيق نخبة من علماء الأزهر الشريف، دار الكتب العلمية (د.ت.ط) .

2- مجد الدين الفيروز ابادي الشرازي ، القاموس المحيط ، مكتبة ألنوري ، دمشق ،(د.ت.ط)

3- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، ط3، بيروت، 1994م.

4- أبو يعقوب يوسف محمد السكاكي : مفتاح العلوم ، شرح الاستاد نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د.ط) ، 1983م.

ج- المجلات:

1-احمد محمد ويس : الانزياح وتعدد المصطلح ، مجلة عالم الفكر ، العدد الثالث، الكويت ، يناير مارس،1997م.

2- طراد الكبيسي : الانحراف في لغة الشعر ،مجلة الأقلام ،العدد الثامن ، العراق 1998م.

د- الرسائل :

1-خليفة بوجادي: خصائص التركيب اللغوي في- بوابات النور – (دكتوراه) جامعة الأمير عبد القادر ،قسنطينة، 2006/2005م.

2- علي كعاب طرموز : الاتجاهات الأسلوبية المعاصرة في دراسة النص القرآني ،رسالة دكتوراه، جامعة الانبار ، 2002م.

هـ- مواقع الانترنيت:

Httm// :www.owwdom.org

فهرس
الموضوعات

فهرس الموضاعات

الإهداء

مقدمة

مدخل : العدول وإشكالية المصطلح :

1/العدول:

أ–تعريفه لغة واصطلاحا .

ب–وضيفته.

ج–أنواعه.

2/إشكالية المصطلح.

أ–اللحن.

ب–الإحالة.

ج–الغلط.

الفصل الاول :العدول التركيبي وعلم المعاني .

أولا:التقديم والتخير .

ثانيا : الحذف.

ثالثا:الالتفات.

الفص الثاني:العدول الدلالي وعلمي البيان والبديع:

أولا :المجاز .

ثانيا:الاستعارة.

ثالثا: التشبيه.

رابعا: الكناية.

خامسا:الجناس.

سادسا:التورية.

سابعا: التجريد.

*خاتمة

*قائمة المصادر والمراجع .

*فهرس الموضوعات.